الطبعة
الخامسة

محمد رضوان

كاردل

الشيطان الذي ألتقيه لآخر مرة في كل مرة

نصوص

كاردل

الشيطان الذي ألتقيه لآخر مرة

في كل مرة

رقم الإيداع لدى
دائرة المكتبة الوطنية
2017/2/839

818.9
رضوان، محمد شاهر
كاردل – محمد شاهر رضوان – عمان: دار فضاءات، 2017
الواصفات: /الأدب العربي//العصر الحديث/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-30-975-6

فضاءات

بيلومانيا للنشر والتوزيع
15شارع السباق - مصر الجديدة
00222402029

الطبعة الخامسة 2020

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق
كاردل – محمد شاهر رضوان – فلسطين
دار فضاءات للنشر والتوزيع – المركز الرئيسي
عمان - شارع الملك حسين- مقابل سينما زهران
تلفاكس: 4650885 (6 - 962+) هاتف جوال: 911431- 777(962+)
ص.ب 20586 عمان 11118 الأردن
E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com
Website: http://www.darfadaat.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: فضاءات للنشر والتوزيع
الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأي دار فضاءات للنشر والتوزيع.

صدر الكتاب في 2017

محمد رضوان

كاردل

الشيطان الذي ألتقيه لآخر مرة
في كل مرة

صدر كتاب 'كاردل' في نيسان يوم عادي وممل،
كان يوماً رائعاً للإنتحار يا أصدقاء

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

فضاءات
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى 29 من شهر شباط/2015

ذكرى ميلاد "إيفا" التي لن تأتِ بعد

يقول صديقي 'كاردل':

هي ألطف 'شيطان' ألتقيه في حياتي،

وأجمل 'إبليس' مخلوق من ضلع الملائكة، مثل

'فرعون' في ذروة إيمانه المطلق، إنها شيطان

لدرجة أنها تستطيع أن تكون ملاكاً في أي وقت.

مقدمة نقدية

لن يكون كتابي مباركاً، ومن الغباء اعتبار هذا الإنجاز 'فاتحة خير' كما وصلني من تعليقات وأمنيات، منذ متى وكان الحديث مع الشياطين والترويج للمهدئات وذكر كلمة 'فودكا' 17 مرة عملاً أدبياً جيداً ومباركاً؟!

أعي تماماً أن الكتابة هنا فاضحة جداً، وأن الحديث عن الأمور الشخصية أمر يدفع للاشمئزاز، لكن من المفيد لكل شخص حصل على نسخة من هذا الكتاب، أن يعرف بأن مجتمعي يعتقد أنني شاب سيّئ السمعة أولاً، وأني توقفت عن إكمال دراسة 'الماجستير' لهذا السبب، وثانياً أن سمراءَ ارتبطت بحبها 36 شهراً قمرياً، فشلنا، وفشلت كل وساطات الآلهة في خلقنا من جديد، وتحولت القبل التي كنّا نتبادلها سوياً في السر إلى بقع سوداء واضحة للعيان، ثم إلى عمل أدبي سوداوي وحزين جداً -باستثناء بعض النصوص التى كتبت قبل ذكرى ميلادي الحزين- أسميته 'كاردل'.

وحين تزوجت 'أي حبيبتي السمراء'، فقدت كل إيحاء للكتابة، وأصبحت مجرد جثة ميتة قاربت على الانتهاء، ومنذ ذلك الوقت، يرسم صديقي الشيطان 'كاردل' في كل لقاء أخير، مقعدين، أحدهما لي، والآخر ليخبرني كم أنا يائس ووحيد،

متعمداً البقاء واقفاً مثل 'زومبي حقيقي' دون الجلوس على المقعد الفارغ.

هذا الشيطان حينما ابتكرته، كان يائساً ووحيداً، ثم انتقلت العدوى، وتحولت تدريجياً من شخص متفائل جداً إلى شخص مثير للشفقة، وقد يكون من غير المنطقي تصديق الادعاء التالي: أحلام مزعجة لأكثر من اللازم، تحذرني في كل مرة من رؤية 'كاردل' للنور، حتى هو نفسه نصحني بعدم التورط في هذه التجربة، وبين شغف النشر والخوف من النشر، لجأت - مثل طفل فقد أبوين أو أكثر- إلى تعاطي المهدئات، وأصبح تحدياً مرعباً ولا منطقيا، (أن يرى 'كاردل' النور)، وكأنني عازمٌ على تأكيد رواية صديقي الشيطان الذي يقول: 'أنا' هو الشخص الوحيد الذي يحاول التخلص مني.

تباعاً، من الممكن أنني خلقت دوائر مفرغة لا صلة لها بالواقع، وخزعبلات مزعجة هدفها الدعاية والترويج، وعالماً حزيناً بسبب وبدون سبب، هذا وارد، لكن الثابت الوحيد أن هذا العمل الأدبي هو نتاج تجربة 'ارتباط' فاشلة، مثل أي تجربة عادية، لشاب يفضّل ممارسة مهنة الكتابة على مهنة القتل بدون سبب، ويرغب بمحاولة انتحار فاشلة، لمرة واحدة فقط، بالمناسبة، التجربة الأولى بالنسبة لي مثل الفرصة الأخيرة، وهذا الكتاب أكاد أجزم أنه سيكون بمثابة تجربة يتيمة للأبد.

على أية حال، لا أعتقد أن الكتاب سيضيف لكم شيئاً سوى المزيد من انعدام الرغبة، موت الشغف، الأفكار المشوشة وشرعنة التناقضات التي أحيا عليها، ولأسباب تافهة جداً، قمت بحرق أول نسخة من الكتاب، لأنني على يقين وفي يوم عادي وممل، سأعلن براءتي الكاملة من كل هذه النصوص، النصوص التي أحبها اليوم وأكرهها في أقرب فرصة، هكذا دائماً ما تبدو الأشياء من حولي.

في الواقع، أنا مجرد كاتب سادي وحزين، أحاول تحويل السيِّئ إلى جيد، وهو ما أفعله على الدوام، لكن صديقي الشيطان 'كاردل' أكد لي مراراً وتكراراً أنني أحول السيِّئ إلى أسوأ، وأنا أثق بهذا المخلوق السافل.

وهذا كل ما في الأمر.

أنت تنتمي لثلاثة أوطان:

رحم أمك أولاً، الموسيقى ثانياً،

وحبيبتك إن كانت سمراء أخيراً، عدا ذلك،

أنت في رحلة علاج وسفر.

الحوار الأخير مع 'كاردل'

كنت أخبرتك أن المسألة معقدة جداً بالنسبة لي، وأنني لم أعد أشعر بها كما السابق، الأشياء من حولي كالذراع المشلولة، لا أرضى ببترها، كما أنني لا أشعر بوجودها بالمرة.

- وهل ما زلت تحبها؟

نحن البشر يا صديقي نحب لمرة واحدة فقط، وما تبقى هي محاولات ساذجة وفاشلة للنسيان، فالحب على هذه الأرض يشيخ ويمرض ولكنه لا يموت.

- هل تفتقدها؟!

الحياة ليست سوى فقدان بطيء للأشياء التي نحبها.

- إذاً عليك بنسيانها:

في كل محاولة لنسيان من نحب، نحن نعمل على تثبيت الذكريات، لا أكثر ولا أقل.

- أنت تأخذ الأمور على محمل الجد، عالمكم واسع جداً ومليء بالمفاجآت!

في هذا العالم يا 'كاردل'، كل شيء متاح ولا شيء ممكن، على هذه الأرض أنت معاقب لمجرد أنك كائن حي.

- تفائل!

لا شيء يستدعي التفاؤل سوى أننا سنموت قريباً

- يبدو أنك حزين لأكثر من اللازم!!

أنا أتعامل مع حزني مثل طفلي المدلل، يأكل مني، يكبر من ضعفي، ويموت من فرحي.

- أنت وحيد وحزين بما يكفي، ويبدو أن الإنتحار وسيلة جيدة نحو الخلاص.

الوحدة، الحزن، والإنتحار فيما بعد ابتكار الاذكياء

- هذا تشاؤم جثة ميتة أم كائن حي؟!

تموت أنت حينما يموت الشغف، الشغف ذروة الأشياء.

- أنتم البشر معقدون، أقترح عليك أن تعود كما كنت إلى نطفة البدايات!

هذا مستحيل، ألم أقل لك أن المسألة معقدة جداً بالنسبة لنا،

- عد لها مرةً أخرى.

أعوذ بالله منك ومنها، أخطاؤُها كسيئاتك، لا تعد ولا تحصى.

- نحن من علينا أن نستعيذ منكم، جيد أنني لم أخلق بشرياً، لا حاجة لكوني حراً في عالمكم البائس، سأعود حيث كنت محبوساً منذ آلاف السنين.

'كاردل' هل ستعود مرةً أخرى؟! لم أقصد الاستعاذة منك أنت بالتحديد، يا 'كاردل' هل ما زلت هنا؟!

القائمة الطويلة التي رفعتها الملائكة إلى الله،

كلّها تطالب بعودتك فوراً.

مرحباً حبيبتي

سقف حريتي هو أنتِ،

تنتهي حريتي بعد انتهاء هذا النص.

مرحباً حبيبتي،

أريد أن أنجب منكِ طفلةً تشبهني وتشبهُك أكثر،

تحمل منك حتى الولادة وتحمل اسمي حتى الممات،

عزيزتي 'إيفا' التي لن تأتي أبداً،

أنا وحبيبتي افترقنا، وأمك هي السبب

وممكن أن تكوني أنتِ السبب

يبدو أنها لعنة الأسماء، سأغير اسم ابنتنا الوحيدة،

اسم ابنتي 'حرية'

تموت حريتي بعد الانتهاء من هذا النص.

أريد أن أستمر في الكتابة للأبد، لا تتركيني وحيداً،

ولا تقتلي 'حريتي'.

الحرية بالنسبة لي شيء مقدس.

مرحباً حبيبتي،

حينما تملي من مراقبتي حدثيني،

اخلق معي حديثاً تافهاً ساذجاً وغبياً، فأنا لست بخير بالمرة بالمرة.

هناك أمر مهم جداً،

أود أن أقول لكِ سراً

هناك 'شامة' ظهرت على خدي،

اسمها أنتِ،

هل هذا مقنع لنعود سوياً؟!

هناك عرض آخر،

وعد آخر،

مرحباً حبيبتي،

فيروز وعدتني أن تغني لابنتنا إن عدنا سوياً 'يا حرية يا طفلة وحشية'

أرجوكِ عودي فوراً، وخذي مني نطفةً، فأنتِ تحبين فيروز، وأنا أحب 'حريتي' أكثر.

مرحباً حبيبتي،

بصراحة،

أود أن أقول لكِ سراً خطيراً بالنسبة لي

نصوصي 'خالية' من أي فكرة منذ افترقنا،

أرجوكِ عودي فوراً، فأنتِ تحبي نصوصي كثيراً، وانا أحبكِ أكثر.

أنا شاب بلا حرية، منذ أن أنتهكتِ النص،

نصوصي مثل أبنائي، حريتي هي ابنتي الأولى،

مرحباً حبيبتي،

أنا الآن بلا حرية، وينتهى الآن هذا النص،

للأبد.

أريد أن أكون

أريد أن أكون هشاً، كي أبكي الآن دون أن أكابر في كل مرة

أريد أن أكون وزيراً للنقل والمواصلات، كي أغلق كل الشوارع المؤدية إلى عينيكِ الداكنتين

أريد أن أكون لصاً، كي أسرق الأشياء دون الحاجة لأن أفكر في سعرها أو طريقة دفعها

أريد أن أكون فيلاً ضخماً، كي أرى الأشياء بحجمها الطبيعي

أريد أن أكون نملة صغيرة، كي أختبئ بسهولة من كل الأشياء المخيفة

أريد أن أكون مطرباً، كي أُحييَ حفلاً وطنياً كبيراً بجوار مستوطنة إسرائيلية

أريد أن أكون طائراً، كي أثبت لمعلمة الصف الرابع أن الغيوم عبارة عن حلوى 'شعر بنات'،

أريد أن أكون رجل دين، كي أجرب طقوس التقرب لله لمرة واحدة فقط

أريد أن أكون شاعراً، كي أقول لسمرائي كما أنا ممتنٌ لها بطريقة لا تشبه أحداً،

أريد أن أكون كاتباً لمرة واحدة فقط، كي أقول للعالم أجمع ما أريده بكل وضوح.

هدايا 'حبيبتي' التي ماتت للأبد

أهدتني 'حبيبتي' وروداً كثيرة،

كل الورود التي نبتت من بين أصابعها العذراء قاومت الذبول، ثم ماتت،

أنا أكره مصطلح 'حبيبتي' ولا أحب الورد بالمرة،

أهدتني 'حبيبتي' ميدالية لسيارتي الفرنسية نقشت عليها 'شيفرا' سرية،

الميدالية رحلت معها في اليوم الآخير،

ليتها بقيت،

أهدتني 'حبيبتي' في اللقاء الأخير دموعاً على نكهة 'الفودكا'

انتهى مفعول السكرة، أنا الآن أكتب فكرة

ليتها واصلت البكاء،

أهدتني 'حبيبتي' قداحة سجائر لونها أحمر،

أنا لا أدخن بالمرة،

أهدتني 'حبيبتي' شوكلاته على شكل 'سنتاكلوزا' أكلتها في احتفال ليلة رأس السنة،

لماذا انتهت السنة الماضية؟!

أهدتني 'حبيبتي' نبتة بيتية تسمى 'البروميلا'

ماتت النبتة هذا المساء رغم نصائحها: عليك أن تسقيها كل يومين مرة،

النبتة 'الميتة' قالت لي: ألم أقل لك أن هذا الوقت سيمضي؟! كان عليها أن تهديك نوراً لا ينطفِئ بالمرة.

أجبتها وهي تموت: أهديت 'حبيبتي' نصوصي التي لن تموت بالمرة.

النص الأصلي والاتفاق المقدس لعقد الزواج

نحن أصدقاء منذ البداية، تذكري ذلك

أنا هارب من الوحدة، لا تهددِيني بإعادتي إليها،

معاً في الجيد والسيئ والديسكو

لا تشربي (بدوني) ولا تدخني كثيراً

أفضل حفلات الشواء على الحفلات الوطنية والاجتماعية

أنا شاب سريع الملل وعدو الروتين،

جربي أن تحبي المعكرونة بالتونة.

نحن أصدقاء للأبد، تذكري ذلك،

المناسبة الوحيدة التي نحتفل بها هي 'عيد اللقاء الأول' وأعياد ميلاد الأولاد فيما بعد.

يوم ميلادي سأكون حزيناً وسأصاب بالصداع، تحملي ذلك لو سمحتِ،

دقات قلبي سريعة لأكثر من اللازم بسبب وبدون سبب، لا تخافي من ذلك،

لا ترتادي المقاهي التي في وسط البلد بالمرة، مطلقاً، وتحت أي ظرف،

نحن أصدقاء حتى الممات، تذكري ذلك،

اختاري ملابسك كما تشائين، سرحي شعرك كما تريدين، لكن لا تكثري من المكياج، أرجوكِ.

أعاني من عادة التكلم أثناء النوم، تحملي كل ما سأقوله خلال النوم، وسأقدر ذلك عالياً

لا تتوقفي عن العمل بالمرة، وتوقفي عن الإنجاب بعد الطفل الثالث

الأعمال المنزلية مشتركة، لا تقلقي منها.

إذا توقفت عن اللعب في 'الجيم' لن ألومك على أي زيادة بالوزن.

نحن أصدقاء على الدوام تذكري ذلك،

الحجاب مجرد عادة والحب هو العبادة، وإن الله يحب عباده المخلصين ويكره المنافقين،

الصلاة هي الرابط الوحيد الذي يجمعك باثنين: الله وأنا.

كوني صريحة إلى حدّ التعب وسأبقي صريحاً بلا رعب

الأولاد، الأماكن التي نذهب إليها سوياً، صور 'السيلفي'، لا شيء على مواقع التواصل الاجتماعي، حاولي ذلك، اتفقنا؟

أنا شاب لا أحسن أخذ القرارات في فصل الشتاء، ساعديني بذلك.

الصيف بالنسبة لي هو الأشهر الوحيدة في السنة، شجعيني فيها، على السباحة والسهر.

عندي فوبيا من صوت المطر، لا تنامي مبكراً في ذروة المنخفضات الجوية، قلت للكِ فيما سبق أنا هارب من الوحدة، لا تعيديني إليها!!

نحن أصدقاء منذ البداية، تذكري ذلك،

لا نقاشات دينية أو سياسية داخل المنزل

إياكِ ومعكرات الصباح، سأطبع لك قبلة في بداية كل صباح، أعدك بذلك

أريد أن أتوقف عن الكتابة بأسرع وقت، لكن لا تشجعيني على ذلك بالمرة

أنا مليء بالتناقضات، تحملي ذلك.

جنون؟ نركض بلا أحذية.. مغامرات؟ سأعيدك طفلةً في كل مساء.

كل ما سبق غير مهم، المهم أن تبقي صديقة، تذكري هذا جيداً، تذكري ذلك دائماً: نحن أصدقاء منذ البداية.

ملاحظة: جزء من هذا الإتفاق مستوحى من حديث مع الصديقة التى تحمل الإسم الثاني للشجرة: جود طروية صاحبة رواية 'في محراب الروح'.

أنا تافه، ساذج ومملّ

أريد أن أثبت لكِ ولي، أو لربما لنفسي فقط، في الحقيقة لكل أصدقائك التافهين، لا، هذا لا يكفي، للعالم أجمع، ما ذنبي أنا بما يفكر هذا العالم الفوضوي؟! لا أريد أن أثبت لأحد، ولا أريد أن أقول لكِ شيئاً، كلّ ما في الأمر أريد أن أقول هل قرأتِ الرواية التي أعطيتك إياها مؤخراً؟! أو حتى، ليس هذا ما قصدته بالضبط، أريد أن أقول لكِ سراً، هل هذا هو لقائنا النهائي أم الأخير؟ أوه، يبدو أنني مرهق ولا أريد أن أغرق بكل هذه التفاصيل، هل يبدو عليَّ فعلاً أني غارق في كل هذه التفاصيل؟!

مرةً أخرى، أرجوكِ دقيقة واحدة من وقتك، ولا تنظري إليَّ طويلاً، هذا متعب، سأخبرك شيئاً عبر سماعة التلفون هذا أفضل، بصراحة، سأقول لكِ: لماذا كنتِ جميلة إلى هذا الحد؟! ها أن أبدأ بشكل جيد، وأريد أن أكمل الآن ما أريد أن أقوله بكل وضوح وجرأة، ركزي معي قليلاً لو سمحتِ، يبدو أن سماعة التلفون لا تحكي إيحائات الوجوه، ويبدو أنني لست بمزاج جيد لأحكي معكِ عبر التلفون، ولست قادراً على أن أراكِ الآن، بل أريد أن أراكِ الآن، لا، الوقت أصلاً غير مناسب

بالمرة، حسنًا، أريد أن أقول لكِ هل تحبين الموسيقى الأجنبية؟! يلعن ها، انسَيْ ما قلته قبل قليل، حتى انسَي ما قلته من البداية، أنتِ، أو أقصد، أنا أريد أن أقول لكنكِ لا تقاطعينني بالمرة!! ومن ثم إنَّني لا أريد أن أكون تافهاً إلى هذا الحدّ، هل أنا فعلاً تافه إلى هذا الحد؟!

'أنا أحبكِ كثيراً'، هذا ما سأحاول أن أقوله لكِ في المرة القادمة.

من علامات "الجمال" أن تبقى وحيداً للأبد،
أنا أتعفن جمالاً.

أنا 'زومبي' حقيقي

أنا أرمم وجهي في كل صباح
أمسح الخيبات المتراكة مثل غبار كثيف من قلة الاستخدام
تعيس ذلك الذي ينام على أمل ليصحوَ على خيبة
العاصفة الرملية التي مرت على وجهي اسمها أنتِ
أنتِ المسؤولة عن مجيء فصل الغبار القادم
أنتِ المسؤولة عن حدوث هذه الكارثة الطبيعية
بالكاد أرى شعري الممتلئ بالتراب والملطخ بالضحايا على المرآة
بالكاد أقتنع أنني 'أنا'
أنا مجرد 'زومبي' خرجت إلى الشارع الآن
لم أعد جثة ميتة قاربت على الانتهاء
القُبل التي كنا نتبادلها في السرّ تحولت إلى بقع سوداء
فمي ممتلئ بأكياس من الدم
لا أستطيع التحدث مع صاحب 'البار'
لا أستطيع التوقف على الإشارة الحمراء

صرت أعتقد أن الرصيف للسيارات

والشارع للأموات الأحياء

أنا الوحيد الذي أتجول في المدينة الآن

الساعة دائماً تشير إلى اقتراب الخوف

انتظار الخوف أشدّ من الموت

تعالي واكتشفي وجهي الجديد بعد التورط في هذا الحبّ

أنا 'زومبي' حقيقي

ويدك العذراء هي الوحيدة القادرة على مسح كلّ جثث الأموات المتراكمة على جسدي

ويدكِ فقط هي التي تُعيدني إلى شكلي الأول قبل التورط في هذا الحب

يَدُكِ هي الحل.

فقدت قلبي في حادث 'حب' مؤلم

نزيف الذكريات بدأ للتو بعد آخر مشهد،

التقرير الطبي يقول: قلبك لا يعمل بالمرة لكنه سريع بسبب وبدون سبب

الطبيب أكد لي في آخر مرة أنني في غيبوبة للأبد،

الممرضة المناوبة وشوشتني سراً: 'أنت الزومبي الوحيد في هذا المستشفى'

الزوار كانوا يقدمون ليَ النصائح باعتباري جثة ميتة قاربت على الانتهاء،

حبيبتي كانت تنظر إلي من خارج 'غرفة الإنعاش' وكأنها تشاهد فلماً مسلياً هي البطلةُ الوحيدةُ فيه.

يا صغيرتي

أنا يا صغيرتي لا أريد إلا أن أنجب منك طفلةً تشبهني وتشبهك أكثر، أن أرقص على أنغام موسيقى صاخبة في عتمة الليل، أريد دولةً يحكمها الأبطال لا جنودًا تعبوا من الحياة، وملّوا من العلاقات التعيسة، وعادوا خائبين بعد انتهاء الفرص.

أريد صبيةً تنام عني ليالي التعب وتخوض عني جولات الحروب، تغفو على أفكاري البريئة، وتنادي باسمي بعد سكرةٍ طويلة: قم أيها الجندي القوي وواصل مسيرك، وفي بدايات الصباحات الكسولة تضع يدها على قلبي وتقول: صباح الخير أيّتها السعادة، تشرب قهوة؟

يا صغيرتي، أنا لا أتزوج على مواجع الحب، ولا أبني عشّاً في وهم الضحايا، ولا أشتهي الجنس في ذروة الضعف، أريد قويةً عنيدةً تملك ذروة الأشياء، تعطيني الغنائم بعد خوض المعارك، ولا ترفع رايةً بيضاء بعد وجع الحكايات، أريدها أن تلبس قميصاً عليه صورة الخبز دون أن ترعب أي سنبلة من خبايا الأرض.

يا صغيرتي، لا أيدي ممدوة للسعادة بعد اليوم، ولا سند يواصل المسير معك، عليَّ الآن أن أخرج من آخر نفق في مسيرك الطويل، سلام عليك، وعلى لون الضعف في عينيك.

في مدينتي الآن

حتى الاحتلال بالحبّ 'غير شرعي' حسب القانون الإنساني، كان الجنود الذين قرروا أن يمضوا أقوياءَ في هذه الحرب معبئين بالأوجاع وملطخة أيديهم بدماء الأبرياء والثوار الملثمين، وعندما قاومت احتلالهم أطاحوا بكبريائي قتيلاً، طالبتهم بالانسحاب على طريق الاستقلال الذاتي والتخلص من الأوجاع حتى الوصول إلى الحرية والسلام، انسحبوا إلى حدود عام ميلادي الحزين، وكتبوا على مدخل المدينة المحتلة 'سابقاً': السجن مدى الحياة مع الذكريات الشاقة لكل من يكسر قلب صبية سمراء!!

عند انسحابهم، وقفوا عند حدود مدينتي، وضعوا المتاريس العسكرية، والأبراج العالية، وكاميرات المراقبة، ثم منعوا التجوال فيها بحجة تسلل بعض العشاق، لم تعد مدينتي مليئة بالحياة رغم الخلاص من هذا الاحتلال! صحت عالياً على أبواب المدينة المحررة: أيها الاحتلال كيف كنت تدير شؤون هذه البلاد؟! فرد أحد الجنود 'السكارى' كان عليك أن تطلب انسحاباً تدريجياً غير معلن، ثم أضاف 'لن تمضي حراً، ولن تكون جندياً قوياً في هذه الحرب'.

في مدينتي الآن، الهدوء القاتل، لا حروب، ولا دماء، ولا أوامر عسكرية، ولا عيون عسلية تعبت من شكل الضحايا، وعلى أبواب المدينة محتلون وحواجز عسكرية، وفي كل مساء، يعلنون عبر مكبرات الصوت عالياً: يا سكان هذه المدينة المحررة يمنع الدخول أو الخروج من هذا القلب 'المعتق بالسمراء' حتى إشعار آخر، يصيح سكان المدنية بأوجاعهم مرةً أخرى: متى تنتهي هذه الحرب؟! وأي خلاص من هذا الحبّ يا إله الحرب!! ذات الجندي الذي يواصل الشرب يجيب بعد وصوله إلى حدّ الثمالة: مدينتكم أيها السيدات والسادة ستعيش حالةً من اللاسلام واللاحرب إلى ما لا نهاية، ثم أضاف 'ألم تطلبوا هدنةً طويلة الأمد!؟ '.

خذني الآن

يا رب خذني إليك في الوقت الذي تراني فيه عاجزاً عن تحقيق المستحيل لا الممكن،

في الوقت الذي أصل فيه إلى ذروة الأشياء وأبدأ بالهبوط، إني أخاف الهبوط والسقوط يا الله،

يا ربّ خذني عندما لا أستطيع قيادة السيارة،

وفي الوقت الذي أكون فيه عاجزاً عن قراءة نشرات الأخبار المملة وعاجزاً عن الكتابة،

خذني إليك عندما أتوقف عن إنجاب المزيد من الأطفال، وتتوقف أذني عن الاستمتاع بالموسيقى،

يا رب خذني قبل نصيحة الدكتور الكلاسيكية 'عليك أن تتوقف عن التدخين'،

وقبل أن أموت تدريجياً من أمراض هذا العصر الحقير،

خذني إليك قبل القيامة، لا أريد أن أرى أمي وأهرب، ولا أريد أن أكون معها أنانياً إلى هذا الحدّ في اللقاء الأخير،

يا ربِّ خذني عندما أكون سعيدا جداً، أريد أنْ أموت وأنا سعيد إن أمكن، العودة إليك هي الخلود هي العودة إلى الحياة مرةً أخرى،

خذني عندما أصبح خائفاً جداً من الموت، ومرتبكاً أكثر من أعياد الميلاد، ومرتعباً من أن تقتلني الفوبيا،

يا رب أنا مرتعب وسعيد، وعندي فوبيا من الموت، هل لك أن تأخذني الآن؟!

تعلمت من 'حبيبتي' ثلاثاً:

السمعة السيئة، الخوف بلا سبب،

وشرب الفودكا بدون ثلج

أنا 'سكران' بكامل قواي العقلية

حلَّل الله كل ما أقول وحرم الناس كل ما سأقول، كل هذه الكتابة 'الفاضحة' تمثلني حرفياً، أنا صريح إلى حدّ 'الوقاحة'، سأخسر أصدقائي الملتزمين ونصف الوسطين بعد هذا النص، سأحاول أن يكون النص الآخير، لكنَّني لن أنجح، وسأكشف سراً حقيراً من صديقي الشيطان 'كاردل'.

لو كنت نبياً لمنعت المنافقين من الذهاب إلى 'مكة'
الأصل في الصلاة الخشوع والطهارة،
عبادة بلا 'طهارة قلب' مثل الصلاة بدون وضوء،
صلاة بلا 'خشوع' مثل كافر يقنع ملحداً أنه مؤمن،
أنا المؤمن بالله، الشاهد أن لا إله إلا هو.

'الفودكا' الجيدة تنتهك النص،
دعوني أشرح لكم أمراً سريعاً عن سمعة 'الفودكا' السيئة،
الأفكار في عقلي مثل ماء يغلي على أعلى درجة،

الأفكار تهدأ بعد الكأس الثاني، وبلا حبوب مهدئة، عقلي

يهدأ مثل موسيقى صاخبة توقفت فجأة من دون مقدمات بسبب انقطاع الكهرباء في حفل ليلي صاخب جداً،

'وشوشات' الجمهور المحتفل بعد انقطاع الكهرباء أقصى ما يمكن لعقلي أن يفكر به،

الهدوء بالنسبة لي نضال يستحق العناء، قتال بدون جثث وبلا خسائر، نصوصي من ميلاد رحم الهدوء، هل هذا يسمى ذهاباً للعقل؟!

أعي تماماً أن المشروبات الروحية - بغض النظر عن بلد المنشأ- سمٌ يشرب وعقلٌ يسلب..

لكنني أتذكر أنى فقدت عقلي لمرة واحدة فقط...

كانت في المرة الأولى التي رأيت فيها سمرائي المسكينة،

جاري 'المتلزم' يفقد عقله على أطفاله الضحايا في كل مرة يصيح بهم عالياً من دون سبب،

هو ملتزم ويضيع عقله وأنا 'سكران' بكامل قواي العقلية. لكنَّني مقتنع أن 'الفودكا' حرام شرعاً.

سبعة أسرار قالها 'كاردل'، ثلاثة منها قيد التنفيذ،

السرّ الأخير: ستصاب حبيبتي القديمة بمرض 'الاكتئاب الأبدي' قبل ميلادها الثلاثين، ستموت موتاً بطيئاً وسيئاً.

تباً كاردل.

كانت أحدث الأسرار أن قال لي: قريباً للعائلة سيدخل في غيبوبة،

الابن الأكبر لعمي الصغير في العناية المكثفة منذ الجمعة الماضية،

تباً كاردل.

إن أسوأ ما يحدث للإنسان أن يرى الأحلام مرة، والواقع مرةً أخرى،

أنا مرتعب، أرى الأشياء مرتين مرتين.

تباً كاردل.

صغير جداً أنا على فهم معاني كلمات مثل: 'الحرام والحلال والإلحاد'.

الحرام هو أن تموت بلا سعادة،

الحلال أن تكون سعيداً إلى الأبد 'هكذا أفهم المسلمات'،

الإلحاد هو كل العادات والتقاليد المعقدة،

هذا المجتمع 'السافل' منافق وجبان، على المريض قبل

التعافي أن يعترف بمرضه أولاً،

أسف على كلمة قذرة مثل كلمة 'مجتمع'،

المجتمع هو من أساءَ لسمعة الأديان والآلهة والفودكا، المجتمعات العربية متناقضة إلى حدّ الكفر، 'قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ'.

الحجاب مجرد عادة والحبّ هو العبادة

أقبل كل ذلك حرفياً على 'أختي' الجميلة،

أنا أصلاً أفكر بنفسي قبل كل مرة،

صديقتي 'المفرعة' كانت تقدم نصائح لأخرى 'محجبة'،

حول أضرار التناقض وسبل الوقاية من الحياة،

صديقتي 'المحجبة' ماتت للأبد،

صديقتي التي تحمل الاسم الثاني للورد قالت لي: 'بحب الله وأهلي والورد والموسيقى'.

لي الحق أن أستبدل الورد، بالـ'فودكا'، لكنني لم أقل لها شيئاً عن حقي المقدس هذا.

آخر خطيئة قمت بها هي أن تبولت في كأس أستاذ العربي في المدرسة،

كنت صغيراً جداً، وكبيراً على أن أفهم الخطيئة،

اكتشفت الآن، أنني لم أكن سيئاً بحياتي عن عمد،

لم أمارس عهراً بالمرة، لم أسرق مالاً جيداً - عندما كنت صغيراً سرقت كثيراً مالاً سيئاً من أشخاص سيئين-، لم أكسر قلباً، لم أؤذِ بشراً، لم أخنق حلماً، لم أقطع رزقاً، ولن أكون سيئاً في المرحلة المقبلة على أقل تقدير،

أنا مثل فراشة 'عجوز' ستموت بعد يومين، أشعر أنني سأدخل الجنة بلا حساب.

'ويلٌ للمنافقين'، صدق الله العظيم.

لو كنت 'بابا نويل'

لو كنت 'بابا نويل' لهذا العام، لوزعت المشروبات الروحية مجاناً على منازل الفقراء، وبعت الخمر المغشوش للأغنياء، وكتبت دون استئذان على منازل المكتئبين 'هذا العالم لكم'، وخربشت على جدران السيئين، 'لم يخلق الله الجحيم ظلماً أنتم من تستحقون'.

لو كنت 'بابا نويل' لهذا العام، لاقتسمت الضحايا مع الأطفال خاصة ممن فقدوا أبوين أو أكثر، وأطلقت رصاصة الرحمة على من ما زالوا ينزفون من وجع الحكايات، لما قلت 'آمين' وراء الأمنيات الحقيرة، ووزعت 'الشوكلاته الدسمة' لكل من يعاني من السمنة، فلا الشكولاتة تزيد الوزن، ولا الوزن يفقد روح الجمال، وحده الخوف يفقدك الحياة.

لو كنت 'بابا نويل' لهذا العام، لأسمعت 'الترانيم' لكلّ المعتكفين في ليلة اليوم الأخير، وأيقظت النائمين من سباتهم العميق وصحَّت عالياً من وراء شبابيك المنازل الخائفة من شبح الشتاء: ودعوا الماضي بتفاصيله المزعجة وأنتم مستيقظون، وحدهم الأقوياء من لا يحصون الضحايا، سأعد تنازلياً ذيل الثواني من هذا العام الجميل مع من فقدوا حريتهم بالكلام.

لو كنب 'بابا نويل' لهذا العام، لمددت يدي على خدِّ سمرائي، ومسكت يديها المرتجفتين، وهمست في قلبها مباشرةً: يداكِ مشطي: جملِيني، ووجهك البريء وطني: دثريني، لزرتها في ساعة متأخرة من الوحدة، كزبائن الليل الأحمر، وقلت لها: قاتلي من أجل فرحٍ أبدي، وابتسمي من إحباطات هذا الكوكب الحقير، سأوشوشها أخيراً: إن قسوة الذكريات كشحنات الأمل، فوتي على أعدائك فرحة الانكسار والانتصار الأخير.

لو كنت 'بابا نويل' لهذا العام، لأسمعت الشهداء صوت المدافع في سوريا وبيروت، ووزعت على قبورهم صور الضحايا في فلسطين والعراق، وصورت لهم شكل الشجر المقطع من ويلات القصف العنيف، وصوت الحمام الخائف في صباحات الحروب الطاحنة، وشكل الدم المتناثر على الطرقات، وأصوات الأرامل في عتمة الليل، وأقول لهم: في فوضى هذه الأرض، أنتم المستشهدون ونحن الميتون، أنتم المرتاحون ونحن المتعبون من وجع البلاد.

لو كنت 'بابا نويل' لهذا العام، لصليت الفجر في عتمة الكنيسة، وصلبت المسيح على أبواب المساجد الحزينة، ودعوت الله أن يدفن الأبناء الآباء، لا أن يدفن الآباء الأبناء، لك المجد أبانا الذي في السماء، لك الحمد من لم يلد ولم يولد، في نهاية هذا العام، أني أحبك وأكره عبادك المنافقين والأغبياء، ولا أحب المتطرفين المتدينين منهم والوطنيّين، أعشق البسيطين ولا أتعامل مع المتشائمين والمعقدين بالمرة، أنا نرجسي إذا لزم الأمر.

هكذا 'سكرت حد الشمالة'

دون أن يحاسبني الله

أمشي وأتقيأ، أمشي قليلاً وأتقيأ كثيراً، لا أذكر كم مرة حدث ذلك بالتناوب، لكن أذكر هذه الحادثة جيداً رغم ذاكرتي التي تتلف سريعاً، كانت قبل نحو 15 عاماً من الآن، في بداية مراهقتي المشاكسة، ولا أذكر كيف وصلت البيت – بهيئة جندي مهزوم عائد من الحرب– على أطراف مدينة الحكايات 'نابلس'. لكنني أذكر أن أمي قالت لي: 'وجهك أصفر'، وبّختني ظنّاً منها أنَّ السبب هو كثرة شرب الأرجيلة، فأنا مدمن 'تفاحتين' مع صديق الطفولة مجدي الخطيب، لا أذكر جيداً شكل أمي الجميل وملامحها البريئة وشكل إخواني المنشغلين بأشيائهم في غرفة المعيشة، وأبي المنزوي كالعادة في عالمه الخاص، لكنني أذكر جيداً أنني هربت إلى النوم من شدة التعب، والمزاج الغريب، والأفكار المشوشة، وكثرة الذكريات القليلة في عمري الصغير، والأهم دقات قلبي المتسارعة، التي أعاني منها حتى اللحظة.

رأيتها حديثاً، في أحد المطاعم برام الله، الشابة 'السادية' التي أجبرتني على شرب 'الخمرة' - ولم أكن أعلم بالأنواع جيداً-، في درج بنايتها المكونة من عدة طوابق، كانت برفقة زوجها وولديها الصغيرين، كانت سمينة بعكس ليلة الشرب الأخيرة، وملامح وجهها الجميل مليء بالقوة والهدوء في آن واحد، خفت كثيراً عند رؤيتها، رغم أنني المظلوم من تصرفاتها، والمقموع في ذكرياتها، خفت مع نظراتها التي كأنها تقول 'تتذكر'، وارتعبت في تحديقها المستمر لي وكأنها تقول 'إمبلا إنت'، انسحبت كأنني لا أريد الشرب معها مرةً أخرى، خاصة أنها أرغمتني على فعل ذلك وأنا لا حيلة لي ولا قوة، كانت بيضاء البشرة حينها، وأكثر بياضاً عندما رأيتها بعد هذه الأعوام الكفيلة بتغير ملامح مدينة كاملة، أثناء انسحابي من المكان، تشنج تفكيري للحظات، وكشفت الحياة لي سراً غريباً وقديماً.

على أية حال، هذا كلّه منقول من ذاكرتي الحزينة - وكلٌ منا قصة يختزنها في سرّه- ابتسمت عندما انتهيت من مراجعتها التي لم تزعجني بالمرة، سوى دقات القلب المتسارعة، وهكذا، تذكرت يوم بدء قلبي بالتسارع، واكتشفت سبب حبي للسمراء على حساب البشرة البيضاء، و'سكرت حدّ الثمالة' دون أن يحاسبني الله.

أعاني مرض 'الفوبيا' من ثلاثة:

صوت المطر، الأماكن المرتفعة

وحبيبتي عندما تكون جميلة أكثر من اللازم

أنا في ورطة

مبنى ضخم جداً

190 طابقاً،

36 مدخلاً،

18 مصعداً،

مثل المباني التي نشاهدها على 'ناشونال جيوغرافيك'

المبنى مليء بالمجرمين

المبنى مكتظ بالمجانين

أنا عالق في الطابق الأخير

داخل برندة تطل ع الغيوم الكثيفة

البرندة مثل زنزانة صغيرة

مفتاح البرندة سقط للتو إلى الخارج

الطقس في الأعلى بارد أكثر من اللازم

صوت حركة الفراغ مزعجة جداً

أكاد أعانق الرعد في كل مرة

السقوط إلى الأسفل هو الحل الوحيد للنجاة من هذا الرعب

أنا أعاني من 'فوبيا' الأماكن المرتفعة

أنا مرتعب ووحيد

أنا في ورطة

وهكذا هو بالضبط؛ التورط معك في 'الحب'.

أشياء يمكن لها أن تقتلني للأبد

حادث سير مؤلم جداً
السقوط من الطابق الأربعين
جرعة 'سم' عالي التركيز
تعاطي عشرين لتراً من 'الفودكا' بدون ثلج
الإفراط في تعاطي المهدئات ذات المفعول المتوسط
انفجار قوي وعنيف على بعد ثلاثة أمتار
رصاصتان من سلاح روسي 'الثانية للتأكيد'
والتورط معك في هذا الحب.

اضطراب حاد

أنا أعاني من 'اضطراب نفسي حاد'،

يصعب تشخيصه،

الصيدلي يكتب لي روشيتا حقيرة بخط جميل،

'حبة واحدة من الباريتورات ذات المفعول المتوسط بسبب وبدون سبب'.

أنا أعاني من 'اضطراب عقلي حاد'،

يستحيل تشخصيه،

الطبيب أكد لي 'أن الحياة ليست هبة للجميع'

عليك أن تتأقلم على كونك جثة ميتة قاربت على الانتهاء،

أنا أعاني من 'اضطراب سلوكي حاد'

الكل يعجز عن تشخيصه،

التقرير الطبي يقول: خلايا جسمك كلّها ميتة

'أنت مجرد زومبي حقيقي'

أنا أعاني من 'اضطراب ذاتي حاد' أستطيع تشخيصه، اسمه أنتِ.

ولهذا السبب أنا أعاني من 'متلازمة تعدد الشخصيات' إلا عندما نكون سوياً، أكون أنا كما يجب أن أكون.

'كاردل' مستمتع بدون سبب

اسمع يا 'كاردل'، وافهمني أرجوك، أنا أستمتع كثيراً بعدم الرد على رسائل حبيبتي الكثيرة، تجتاحني رغبة عنيفة في قتلها عندما تكون جميلة لأكثر من اللازم، كما أن قلبي يهدأ ويعود إلى نبضه الطبيعي، مجرد أن أراها تستفرغ في تواليت المطعم من شدة التعب، وأستمتع أكثر عندما أكون أنا السبب.

- جيد، كنت أوسوس لك الكثير، رغم أن إبليس حبسني لهذا السبب.

تخيل يا 'صديقي'، حتى في الوقت الذي ترغبني فيه، ألوح لها بالموافقة ثم أبتعد عنها قليلاً، ثم تقترب منّي المسكينة، لأبتعد أكثر، حتى أراها تركض نحوي كأم فقدت طفلها الوحيد، ومع هذا أبتعد أكثر، وأستمتع أكثر عندما أفعل هذا من دون سبب، وضروري أن أكون أنا السبب.

- ضروري أن تكون أنت السبب!؟

حدثتني في آخر مرة، عن أساليب التفاؤل، وطرق ممارسة رياضة 'اليوجا' وفوائد قراءة كتب الحياة الإيجابية، كانت هادئة وجميلة تتحدث وهي تمسح كلبها الأبيض بيديها الناعمتين، في

تلك اللحظة انتابني شعور غريب، بأن أقتل كلبها أولاً، ثم أقرر أن أتركها ثانياً، وأرحل الآن، هكذا بدون أي سبب، وبدون أن تكون هي السبب، وأستمتع أكثر عندما أكون أنا السبب.

- أنت تحبها بدون سبب، وهذا كل ما في الأمر.

هل أنا شيطان مثلك يا 'كاردل'، أم أنني سادي وحزين لأنني أفعل كل هذا بدون سبب؟!

- سادي وحزين، وأنت صديقي لهذا السبب.

حبيبتي تخاف لأكثر من اللازم، جئت أنا،

كانت هي، وثالثنا 'كاردل'، ثم ارتجفت وقالت:

'اخلع ثيابك وارتدِني'

على حافة السرير

هناك امرأة سادية،

ترتدي 'نايلون' طويل

تجلس على حافة السرير

تهز ساقها الأيمن مثل ساعة أوشكت على التوقف

تحكي مع صديقها عبر التلفون عن حبيبها القديم

تضع 'المناكير' بعشوائية

مفرطة هي في هوس الألوان

الألوان بالنسبة لها أسود، أسود داكن، أسود داكن أكثر من اللازم،

تنفخ أصابعها العذراء بعد كل فكرة

السيجارة التي أشعلتها وصلت إلى حدود 'الحومرا'

كلبتها 'لوسي' تنظر إليها خائفة

الملائكة التي على يسارها هربت للتو من أفكارها

لا شيء يمكن أن يوقف نزيف ذكرياتها

هذه المرأة تفكر بقتلي الآن، هكذا وبدون سبب

هذه المرأة عاهرة وجميلة

هذه المرأة اسمها أنتِ.

أنا منشغل بالفراغات

أنا منشغل جداً بتحويل الأشياء الى سعادة.

ومنشغل بسبب الكم الهائل في تحقيق الأمنيات التي لا تنتهي

منشغل في صنع قهوة أفضل في كل مرة

أنا منشغل بانتظار زهر اللوز في موسمه القادم، وسأكون مشغولاً في العام القادم لنفس السبب

منشغل في مفاوضة الأيام، عليها أن تهدأ وأن لا تكون سريعة بشكل مخيف إلى هذا الحدّ،

منشغل كل الوقت بانتظار رسالة من حبيبة قديمة،

منشغل بوضع بطاريات جديدة في ساعة غرفتي، المتوقفة منذ أن ولدت

منشغل جداً بإعادة سماع كل الأغنيات الجميلة،

منشغل كالمجنون، في وضع اللمسات الأخيرة للحياة

منشغل في فهم معنى 'الفراغ'، وفي كل مرة أحاول أن أملأ هذه الفراغات الحقيرة قبل انشغالي بفراغات أكثر،

في الحقيقة، أنا مشغول جداً بالفراغات التي لا أجدها بالمرة.

'أنا' هو الشخص الوحيد
الذي يريد التخلص مني

سيكون هناك حفلة للإعدام الميداني في الحي المقابل لمنزلي

الفتيات في 'حفلة الموت' يرتدين تنانير قصيرة لأكثر من اللازم

الفتيات في 'حفلة الموت' يفقدن العقل دون الحاجة إلى تعاطي المشروب في كل مرة،

سأتوجه حاملاً قلبي الفارغ والثقيل جداً نحو المقصلة

أنا غير قادر على ممارسة أي من طقوس الحياة لفترة أطول،

يقول رئيس الحي: إن الأديان السماوية تفضل الإعدام فجراً،

لكن ماذا سأقول لعراف 'الحفلة' في الليلة القادمة؟!

مرحباً سيدي أنا مدان بكسر قلب صبية سمراء، متى موعدي مع الموت؟

عراف 'الحفلة' يقول: سنحكم عليك بالسجن مدى الحياة مع الذكريات الشاقة

مرحباً سيدي لا أريد أن أموت في كل يوم ولمدى الحياة، أريد أن أموت لمرة واحدة فقط،

عراف الحفلة يقول: المهمة الوحيدة الملقاة على الأحياء هي أن يرفضوا الخوف، وحده الخوف من يقتل الحياة،

الأطفال في الحي ينظرون إلي باعبتاري جثة ميتة قاربت على الانتهاء

الحياة في مدينتي سيئة جداً، الذي يموت فيها هو الناجي الوحيد من الحياة،

الحياة في مدينتي عبارة عن فقدان بطيء للأشياء التي نحبها.

'عراف' الحفلة هو أنا، والمدان بقتل قلب صبية سمراء هو أنا، رئيس الحي هو أنا، والمحكوم بالإعدام أيضاً هو أنا، حتى الأطفال والفتيات الجميلات هم أنا لوحدي،

في الواقع، 'أنا' هو الشخص الوحيد الذي يحاول التخلص مني.

عزيزي عزرائيل

تحية الحياة وبعد،

أنا لا أخشاك بالمرة، لأن العمر لا يسقط بالتقادم، والموت لا يقترب مع تقدم العمر، والتجاعيد تنمو فقط مع كل خيبة، ونعاني من ضعف في السمع حينما تفقد الموسيقى لحنها وعزفها، وكل حزن يقنعنا بالحياة أكثر، ونبضات القلب تتوقف مع توقف الحب، الأمراض لا تُسرع الموت، المرض نوع من أنواع الأمل، والأمل هو الوجه الثاني للحياة، هل هذا واضح يا عزيزي؟!

حتى من يدخنون كثيراً تجلياً، ويسهرون حتى موعد أذان الفجر فرحاً، لا تزداد صحتهم سوءاً، بالعكس تماماً يا 'عزرائيل'، الصحة السيئة هي أن تتناول مقداراً محدداً من الطعام الصحي وتمارس الرياضة اليومية دون أن تستمتع بذلك، المتعة وحدها هي من تقرر ما إذا كان ذلك جيداً أو سيئاً، والفرح وحده هو من يجعل الأشياء جيدة أو سيئة، عزيزي 'عزرائيل'، لا تقترب على أنبياء الله، ولا تأخذ جندياً يقاتل لأجل السلام، أو موسيقياً يغني للحب والحياة، خذ طبيباً أنقذ سيئاً من الموت، أو صحفياً ينقل الأخبار المزعجة والسيئة، مثلي تماماً.

عزيزي عزرائيل،

رغم أن الناس لا يحبونك بالمرة، إلا أنني على ثقة أنك تقوم بمهمة إلهية مقدسة ومريحة للبعض، والله يحب من يقومون بالمهمات الصعبة، علينا أن نقتنع جميعاً أن هذا العالم يسوده الظلم، وأن الموت مرتبط بفقدان الأمل، لا بمهماتك الصعبة، وعلينا أن نتأكد أن العلاقة بين الحياة والعمر هي علاقة حب، كلّما كبرنا أكثر، أحببنا الحياة أكثر، كما علينا أن نجتاح هذا العالم الجميل والمليء بالمفاجآت والملل، حتى يبقى الأمل، ونبقى على قيد الحياة.

ثمة عقاب 'رباني' إن عدنا سوياً،

هل تتفهمين الأمر؟!

عزيزتي 'إيفا' التي لم تأتِ بعد

تبادلي معي الأدوار ولا تنتظري مني نطفة الأمل، خذي عني دور النصيحة، لأن أمك العنيدة تتحمل مسؤولية بقائك كروح من دون جسد، إيفا حبيبتي، لقد فعلت كل ما يلزم لإتمام وجودك على هذه الحياة، أكرر مرةً اخرى: أمك وحدها من تتحمل مسؤولية عدم اكتمال شروط خلقك، على أية حال، لا تتدخلي في المشاكل العائلية، وهذا ما حدث مع أمك منذ اليوم الأول من انتهاء الحرب:

هذا قراره، هو حرّ، وأنا كذلك، لن أقترب من 'الفودكا' لمعالجة الأمر، الشوكلاته وحدها تكفي لتغير أي مزاج سيِّئ.

في اليوم الثاني: استيقظي على مواجع الحب، ولا تردي الصباح على أحد، فكري جيداً، هل علي أن أحصي الضحايا للمرة الأخيرة؟ يا الله ما أكثر أخطائي.

في اليوم الثالث: هذا اليوم مشمس وهو يحب الشمس كثيراً، مزاجه سيكون جيداً، جربي النداء الأخير: مرحباً، أنا هنا، هل ما زلت معي؟!

في اليوم الرابع: كابري كثيراً، واستمعي 'عايشه وحدي بلاك' لم أعد طفلته الصغيرة، أنا أصلاً كبرت على التفكير بشكل عاطفي، علي أنا أكون عقلانية 'رديها بنفسك كترانيم المساء'.

في اليوم الخامس: اقرأي كتاب 'نسيان كوم' وارمي ما تبقى من الذكريات وكأن شيئاً لم يكن، لم تعد تهمني تفاصيل الحرب الأخيرة، أنا قوية بما يكفي، ولا تكملي الكتاب الممل.

في اليوم السادس: أنا ضعيفة إلى حدّ التعب، كيف يتركني لستة أيام متتالية، رغم أنَّ الله خلق الكون كله في نفس المدة!!

في اليوم السابع: توجعي كثيراً، وراجعي أخطاءَك منذ الإعلان الأول للحرب، أنا حقاً مخطئة، عليَّ أن أعيد الزمان لأسبوع واحد إلى الوراء، على الأقل.

في اليوم الثامن: هو مخطئ، أناني وسافل، قرري عدم التفكير بالأمر، لقد تعودت على غيابه، سأخونه مع غيره.

في اليوم التاسع: إقرأي الرسائل القديمة، واسرقي منها الأمل، إنه يحبني وأنا معاقبة على أخطائي الكثيره، هل أحاسبه؟ أم أحاسب نفسي؟ لا يهم، سأحاول معه للمرة الأخيرة.

في اليوم العاشر: إقرأي 'قواعد العشق الأربعون' فهي للغائبين مثلنا، ولأولئك الجنود العائدين بعد انتهاء الفرص، وقبل الوصول إلى القاعدة الأولى، ضعي الكتاب في درج

الأشياء القديمة، ولا تكملي الرواية الطويلة، لأنها تحتاج إلى طرف ثانٍ، وإلى سلام داخلي.

في اليوم الحادي عشر: لن تنفعك الكتب كلّها، إقرأي فقط بعض النهايات الحزينة، وتقمصي دور البطل الأخير، وقولي: إنَّ الأبطال الحقيقيّين هم أصحاب النهايات الحزينة، مثلي تماماً.

في اليوم الثاني عشر: ملَّ البطل من دور البطولة، ومن تقمص الشخصيات الحقيرة.

في اليوم الثالث عشر: هو يحبني ولم يكتب إلا عني، أنا ملهمتُه وسمراؤه البريئة التي اجتاحت كيانه كاحتلال ناعم، يستفيد منه حتى سكان الأرض المحتلة، أنا الجندي القوي، سأحاول للمرة الأخيرة.

في اليوم الرابع عشر: استغلي المناسبات السعيدة، ما يسمى 'بعيد الحب' هذا اليوم كفيل بإعادة الأشياء كما كانت في المرة الأولى.

بعد أسبوعين ويوم: تذكري، قال لي يوماً: أنا لا أتزوج على مواجع الحب ولا أبني عشاً في وهم الضحايا، تباً لن أتذكر هذا الخزعبلات، 'إيفا' حتماً ستكون ابنتنا التي لا تشبه أحداً، مني الاسم ومنه الحياة تحمل مني حتى الولادة، وتحمل اسمه حتى الممات.

بعد ستة عشر يوماً: عودي إلى الله، هو وحده الأمان في فوضى هذه الأرض.

في اليوم السابع عشر: قاومي كي لا تنتهي الحرب، وحدهم الأقوياء فقط من لا يحصون الضحايا.

في اليوم الثامن عشر: نامي مبكراً، لن أفكر في الأمر مرةً أخرى، في الصباح سيكون كل شيء تحت السيطرة.

في اليوم التاسع عشر: ضعي الحومرا الخفيفة و'الأيلاينر' بعناية، تكحلي حدّ التشوه، وجملي نفسك كثيراً، غيري بروفايل 'الفيس بوك'، وبالمناسبة صورك الكثيرة تثيرني جداً، ما زلتِ جميلة رغم لون الحزن في عينيك.

في اليوم العشرين: اشتمي رائحة زهر اللوز في موسمه، تذكري شكل 'السيلفي' الأول، استمعي إلى الأغنيات الصاخبة، خاصة تلك التي كنتِ تشاركينه بها.

في اليوم الواحد والعشرين 'بالمناسبة يصادف هذا اليوم': إنه سادي ويستمتع بتعذيبي، ويستمتع أكثر بعدم الرد على رسائلي الكثيرة.

في اليوم الثاني والعشرين: مارسي النسيان بالكثير من الخيانات، فأنا أخون وهو يخون أكثر.

في اليوم الثالث والعشرين: حسناً، سأحاول للمرة الأخيرة، أنا أحبه، وهو أكثر.

في اليوم الرابع والعشرين: شاورما، وأكل أكثر.

في اليوم الخامس والعشرين: فراغ، لا شيء مما سبق، سأتعود على ذلك.

في صباح اليوم السادس والعشرين: لن أحاول معه بالمرة، وفي المساء سأحاول للمرة الأخيرة.

في اليوم السابع والعشرين: الآن يمكن لي أن أمضي حراً، أو أن أعيش جندياً قوياً في هذه الحرب.

في اليوم الثامن والعشرين: تبادلي الأدوار معي، أنا إيفا التي لم تأتِ بعد.

في اليوم الأخير من عام 2015 شباط 'السنة الكبيسة': تبادلي معي الأدوار، أنا إيفا التي لن تأتيَ أبداً.

رسالة جندي في ذروة الحرب

مرحباً حبيبتي، رغم أني أخاف زخات الرصاص لكنني أخافكِ أكثر، وأشعر أن الهروب من شبح الموت في هذه الحرب الطاحنة أفضل من العودة إليكِ وممارسة طقوس السعادة معاً، أكتب لكِ الآن ولست قادراً على الكتابة أكثر، لذا، أقترح أن تنجبي طفلةً من نطفة أخرى.

عزيزتي،

علمنا الكولونيل في أيام السلام، أن الحروب في الميدان تقتل المئات من الجنود مرة واحدة، أما الحروب معك فتقتلني باليوم عشرات المرات، كلّ هذه الأفكار أكتبها لكِ وأشاهد من أمامي أشلاء الضحايا تتمزق، صوت نداءات المنكوبين محزنة جداً، وشكل الأحياء في لحظاتهم الأخيرة من تحت الأنقاض مرعب جداً، هذه المشاهد تُخيفني، لكن فكرة العودة إليكِ مرةً أخرى تخيفني أكثر، إنها مرعبة جداً، جداً يا جميلتي.

عزيزتي،

أشعر أن وجودي بين جثث الضحايا الأبرياء، أرحم من تذكر خيانتك التي لا تتوقف، أقترح عليكِ أن تصنعي الخبز في

حقول القمح، علَّ حباً جديداً ينبت من بين أصابعك العذراء، صدقيني، أُفضل أن أكون في زنازين العدو، وقبضة المحتل، على أن أكون بين يديكِ الناعمتين، أرجوكِ قبل ذكرى ميلادي القريب، لا تلوثي هذا الحب يا صاحبة الذوق الرفيع، فأنا مثلك تماماً أحببتك حتى التعب.

عزيزتي،

ساعي البريد قُتِلَ حديثاً بنيران صديقة، أي رسالة أو كتابة مستقبلية لن تكون لكِ أو عنكِ، المخلص لك الذي لن يعود أبداً.

أريد أن أستفرغ 'مشاعري' دفعة واحدة،
الاشمئزاز يدفعني للكتابة

الانسحاب المزعج 'للكحول' من الجثث المدمنة، قنينة 'الفودكا' التي جعلتني أوشوش الملائكة، حزني الذي يأكلني في كلّ مرة، الحزام الناسف المتجول في الذكريات، الحبوب المهدئة ذات المفعول المتوسط+500، التبول اللاإرادي الذي حصل مؤخراً، فوبيا المطر، قلبي 'السريع' الذي لا يعمل بالمرة، العصافير المرتبة عشوائياً على أغصان الشجرة العجوز، 'كاردل' في كل مرة، رائحة الأشياء القديمة لأكثر من اللازم، التوقع المفاجئ، السادية التي يمارسها العدم، اللاشيء حديثاً، التاسع والعشرون من شهر شباط، صوت التلفاز المشتعل في الصباح، بحة صوت سمرائي الجميلة، الجوارب القصيرة، لحيتي التي لم تكتمل بعد، الشعر الكستنائي المموج، الكتاب الذي استعرته من صديقتي مؤخراً، 'إيفا' التي لم تأتِ بعد، فيروز عند الظهيرة، 'إيفا' التي لن تأتي أبدا، شكل الأصدقاء في الجنازات البطيئة، توقف الموسيقى فجأة، أمي التي تُعيدني طفلاً في كل مرة، السعادة بدون فرح، أمي مرةً أخرى، الموت بسبب وبدون سبب، ذاكرة الـ5 ثوانٍ بعد النوم، الحب بعد انتهاء

الفرص، العيون العسلية التي تعبت من شكل الحواجز، شكل الجنود الذاهبين إلى الهزيمة، الوشم 'الرمادي' على الوجوه البريئة، قبلة يوم الأحد الماضي، كانت عميقة، الله الذي لم يستقِلْ حتى اللحظة، صوتي على الراديو في الازدحام المروري، حفلات الشواء المملة، رائحة الطفل عند الولادة، فنجان قهوة عادي جداً، الشغف، ترانيم المسيح، الفراغ الممتلئ بالضحايا، العدو المفضل لي، الاعتراف، الجريمة من دون عقاب، الأدب الروسي، المتفائلون جداً، وملحمة 'آية' الأخيرة.

أنا كل شيء مما ذكر.

أنا لست إلا أفكاراً مبعثرة عشوائية وغير مرتبة بالمرة،

أنا الفوضى في ذروتها

رتبني يا الله

هذا النص 'خالٍ' من أي فكرة

لم أنجح طوال 16 عاماً من البكاء ولو لمرة واحدة، أريد أن أكون هشاً كي أبكي الآن دون أن أكابر في كلّ مرة، أنا أرتعب 'ممسكاً طرف الثلاجة' مثل طفل فقد أبوين أو أكثر قبل طحن حبوب أخرى من المهدئات،

ذاكرتي تالفة، لكنها أنانية تختار المحطة التي تريدها بالتحديد، تقف بالمحطة حتى انتهاء مفعول المهدِّئ، إذاً، لا حاجة لتعاطي المهدئات في المرة القادمة،

الحب مثل الحقد مشاعر فائضة،

أريد أن أستفرغ مشاعري الآن دون رحمة، الاشمئزاز يدفعني للكتابة،

عليَّ أن لا أكون أنانياً إلى هذا الحدّ،

حبة المهدِّئ تبني لها 'على مهل' قصراً وجيشاً ودستوراً قبل أن تبدأ بمفعول اعتقال كل خلية شاركت في نبش الذكريات الميتة،

أنا شاب أتعاطى 'الباريتورات' ذات المفعول المتوسط +500،

قلبي يدق بسرعة سيارة رياضية على طريق مستقيم لسائق متهور يركض هرباً من الموت،

أنا أصغر من أن أفهم معنى كلمة 'موت'.

أريد أن أستمع إلى الموسيقى الآن دون الحاجة إلى أن أبدأ بجولة من الحزام الناسف داخل الجزء المشاغب والمسؤول عن تثبيت الذكريات،

الموسيقى وحدها تنسف وحدتي، لماذا لا نتعاطى المهدئات مرة واحدة دون أن تكون على دفعات سادية،

السادية ممارسة يومية تتقنها ذاكرتي التالفة في كل مرة، البارحة احتفلت بانتهاء العلبة الثالثة من المهدئات منذ شباط وحتى ميلاد هذا النص،

هذا النص 'خالي' من أي فكرة،

أنا أفضل ممارسة قذارة تعاطي المهدئات على ممارسة مهنة القتل من دون سبب،

المجد للمهدئات التي لا تقتلني بالمرة،

أنا مدمن الأشياء المخيفة، أجلس وحيداً عند منتصف ليل الساعة الـ12، أطمئن أني لن أموت هذا اليوم،

المجد للمهدئات التي تجعلني هادئاً في كل ليلة،

أنا مدمن الأشياء السخيفة، يمكن لي أن أركز نظري على ضوء غرفتي لمدة تزيد عن الساعة،

ساعة غرفتي متوقفة منذ أن ولدت،

أريد أن أتوقف عن الكتابة للأبد، أنا أخاف من نفسي أكثر بعد كتابة نص بدون فكرة، كما الآن.

خذوني على محمل الجد لـ5 ثوانٍ فقط..

أنا مرتعب

أقذر ديكورات الحروب هي صور الأطفال الذين يوزعون الورود على الجنود المتسببين بقتل آبائهم وبقتل والدة الطفلة الكبيرة في الانفجار الأخير، يؤسس أمام منزلي 'مسبحاً' لمعالجة المكتئبين، أنا مرتعب، وأحتاج إلى أن أغفوَ من جديد، أو إلى أن أستيقظ الآن، 'كاردل' لأول مرة يسألني: متى ستتوقف عن الكتابة عني، ولماذا تختار اسمي، اسماً لكتابك الأول؟ أجبته وأسئلته جعلتني أشعر ولو أني سرقته كلّه حتى اسمه: هل تريد لي أن أتزوج 'سمرائي الوحيدة'، ضحك عالياً: إذا تزوجتها لن ألتقي بك بالمرة، لأول مرة 'كاردل' يضعني في اختبار مصيري ومعقد، إما هو وإما العالم المتبقي، سأختاره هو على أية حال.

الساعة تقترب إلى ما لا نهاية، هل أنا 'متصل بالواقع'؟! اقرأ معي هذا المشهد للنهاية أرجوك، أنا مرتعب، سيفتح صاحب المنزل المعتوه مسبحاً كبيراً أمام منزلي الصغير لعلاج المكتئبين، يقوم الآن بحفريات ضخمة ومزعجة، سأخسر

'باركنج' سيارتي، نافذة المنزل سيكون مشهدها كالتالي: مجموعة مكتئبين يحملون 'الخمر المغشوش' في وضح النهار، عراة من كلّ شيء، عدا الملابس، لن ينزلوا الماء، إنهم يخافون ملامسة الحياة، سأنظر لهم من داخل منزلي من دون أن أكون عارياً من المشاعر، لكنني من دون ملابس، أريد أن أكون مكتئباً كي أنجو بفرصة النزول إلى الماء، وأن ألمس الواقع ولو لمرة واحدة فقط، أنا لا أجيد السباحة ولكنني أحبّها، المدرب في النادي أكد لي: السباحة تحتاج إلى أن تكون 'عارياً من الخوف'، لكنني مرتعب جداً، الأمر خطير للغاية، المدينة ستنفجر قريباً.

حاول أن تبقى معي حتى النهاية، يقال إنَّ الأحلام بعد الثانية الخامسة من الاستيقاظ تُطرد من الذاكرة، إلى الأبد، المدينة ستنفجر، أقسم أنني استيقظت على صوت الانفجار، صديقتي تحمل طفلةً كبيرة، الطفلة قالت لي: فقدت 'ماما' في انفجار المدينة الأخير حدثني عنها أكثر، لأول مرة أتحدث عن أمها دون أن أحتاج إلى أن أكون قد رأيتها في وقت سابق، هل سأصحو اليوم على صوت المدينة الممل، سيارات بـ'زوامير' عالية، صوت طلاب المدارس، وهل تغرد العصافير في الصباح الباكر بعد انفجارات المدن الضخمة؟ أم أنني سأظل أحكي للطفلة عن أمها التي لم أراها من قبل؟!

أنا مرتعب، يمكن أن يكون الانفجار في منزلي فقط، ويمكن أن يكون صديقي 'كاردل' شيطان جيد، يريد تحذيري من كارثة قد تحدث، لا أريد لـ'رام الله' أن تنفجر ولا أن أتخيل جولة مع 'الحزام الناسف' في المدينة، كنت قرأت شعراً حمل هذا العنوان لكاتب عراقي، هل يمكن أن يكون هو السبب، هل أحمله المسؤولية عن 'فوبيا' هذا الصباح؟!

الجرة 'أنبوبة' الغاز مغلقة وتأكدت من ذلك تماماً، لا أتحمل أن يحدث لرام الله، مثلما حدث لغزة المنكوبة، 'غزة اليتيمة'، كنت قد قرأت كتاباً حمل هذا الاسم من قبل، أخاف أن يكون هو السبب، لماذا يرسم لنا الكُتّاب أسوأ المشاهد وأعنفها، إنهم ساديون وأنانيون، أنا لا أحب الكتّاب العرب، هم يشبهون مُنتجي 'أفلام الرعب' والأفلام 'الإباحية'، يصورون لنا أقذر المشاهد وأكثرها رعباً، لتسويق أفكارهم المعقدة، مثلي تماماً.

عودة إلى الحلم قبل انتهاء ذاكرة الـ'خمس' ثوانٍ، صديقتي التي حملت الطفلة الكبيرة كانت جميلة، ترتدي تنورة طويلة، سألتني عن رعبي، كذبت وقلت لها: إن طفلتها كبيرة جداً، ولا يجب أن يكونوا الأطفال كباراً إلى هذا الحد، وكيف لطفلة بعمرها هكذا أن تتكلم بصوت مرتفع؟! صديقتي أجابت: إنها

ليست طفلتي، إنها يتيمة من ضحايا الانفجار الأخير، كانت توزع الورد على الجنود المتسببين بقتل والدتها، يا الله... ذكرتني في رعب المدينة مرةً أخرى، عليَّ أن أستيقظ فوراً.

المدينة موجودة، تأكدت من ملامحها الآن، لا مسبح أمام منزلي للمكتئبين، سيارتي في مصفها، أنبوبة الغاز مرةً أخرى مغلفة تماماً، العصافير تفتح أحاديثها كالعادة، 'كاردل' مجرد شيطان مرعب لكنه صديق جيد، تنتهي الـ5 ثوانٍ الآن، مجرد حلم، مجرد رعب، مجرد نص، ونهاية عادية جداً لمشهد مرعب جداً.

أريد أن أستفرغ 'مشاعري' الآن،
الاشمئزاز يدفعني للكتابة مرةً أخرى.

المتفائلون الذين توقفوا عن الضحك للأبد

المشردون الذين توقفوا عن تسول العيون البريئة

اللصوص الذين أعادوا الشغف الأخير

الزفير الذي يخرج من طفل فقد 'أبوين أو أكثر'

أين تذهب الدموع التي لا نذرفها؟!

الزوج الذي يمارس الخيانة بدون سبب

الناي الحزين لأكثر من اللازم

فيروز التي تغني 'زعلي طول'

حزني الذي يأكلني في كل مرة

الشهداء الذين لم يصعدوا إلى السماء بعد

ومناديل أمهاتهم المبتلة للأبد

بيتي الصغير جداً

أين يذهب الفراغ الذي بداخلنا؟!

'الفودكا' التي تشرب من نصوصي
نصوصي التي لا تموت بالمرة
'إيفا' التي لم تأتِ بعد
'كاردل' الذي يرى النور قريباً
النور الذي لن ينطفئ بالمرة في 'زنازين' الأبرياء
وأمي التي تعيدني طفلاً في كل مرة
أنا جميع ما ذكر.

أنا الآن في غيبوبة

أكبر عقاب في هذا العالم أن تحتفظ بذاكرة 'الخمس ثوان' في كل مرة، هذه المرة قبلة حبيبتي هي من أدخلتني في غيبوبة، أوقفني حاجزاً مفاجئاً لتنظيم داعش الدولي، لأدخل في حاجز إسرائيلي آخر، كنت قلت للإسرائيليين لا تعترضوا مساري، أرجوكم، أنا في طريقي إلى حبيبتي، لكنني في غيبوبة حتى قبل أن أدخل في ذاكرة الخمس ثوانٍ، أحتاج إلى أن أصحوَ الآن، أنا في طريقي إلى حبيبتي، حبيبتي بعد الحاجز، داعش تمنع القبل في المدينة هذا الموسم.

'كاردل' شيء ثابت في كل مرة، كنت أخبرت صديقي 'عنان صُبح' قبل أن أهنيء صديقة في عيد ميلادها الـ23، إن 'كاردل' يعيش معي في المنزل ويخفف من حدة وحدتي، وأنه حتى يشاركني في زجاجة 'الفودكا'، على الفودكا أن تنتهي فوراً، هل هي السبب في وجود 'كاردل' أم أن صديقي الشيطان موجود من دون سبب؟! سأتأكد إن كانت في الثلاجة، الثلاجة فارغة إلا من الزجاجة، أنا في غيبوبة أحتاج إلى أن أشرب من جديد حتى أنجوَ من رعب البقاء في ذاكرة الخمس ثوانٍ.

نجحت في التسلل من حاجز داعشي وآخر إسرائيلي، يقول سائق التاكسي السمين أني مجنون، وسألني هل تستحق حبيبتك كلّ هذه المغامرة؟! أجبته: إنّها لا تستحق بالمرة، لكنني أحتاج إلى قبلة واحدة فقط، وأقتلها بعد ذلك للأبد، أنا الآن في غيبوبة وأحتاج إلى قبلة منها حتى أنجوَ من رعب البقاء في ديمومة الغيبوبة المزعج،

ذاكرتي تالفة، كنت أعطيت سمرائي مغلفاً فيه ميدالية والكثير من النصوص حملت عبارات واحدة مكررة 'ألم أقل لكِ أن هذا الوقت سيمضي؟!'، نسيت كل شيء بعد صحوتي من الغيبوبة، كان عليَّ أن لا أصحوَ من جديد، لا الفودكا انتهت ولا قبلة حبيبتي اكتملت، لم أعد أحتفظ بذاكرتي الآن، وقلبي لم يعد يقتنع بعد أنه بلا حبيبة، لا تفاصيل أكثر، وهذا كلّ ما في الأمر.

من النصوص التي لا أريد نشرها بالمرة

كل شيء يختفي في الأزمات إلا الحب، كل شيء يموت في الحروب الطاحنة إلا المشاعر: الصراخ غير المسموع بسبب شكل الطائرات المنخفض جداً، القتل بسبب وبدون سبب، الأُم التي تبحث عن ابنتها الوحيدة من تحت الجثث المتراكمة، الهروب من الموت المتناثر في كل مكان، وحتى الجنود الذين اغتالوا حُلمي الكبير قبّلوا قلبي ثم قتلوني، كان على الطائرات المزعجة التي حلّقت فوق رأسي أن تحافظ على نومي العميق، لا أريد كتابة أحلام جديدة، لكن الناس هنا أفسدوا كل شيء جميل على هذه الأرض البائسة، وأسقطوا كل الغضب الموجود في السماء، عدا الله الذي ينظر إلينا بعيداً كثيراً، يراقب ويسجل ثم يغضب، 'إنها القيامة'، حبيبتي اعترفت لي: 'لم أعد جميلة لكنني كنت أحبك'، قلبي سقط من الطابق الأرضي حيث أختبِئ، الملامح الجميلة تنصت جيداً لأصوات الحروب وتتحول إلى جثث قبيحة، العالم في ورطة، العالم في ورطة حقيقية.

كلّ ما تعاطيته خلال العام الحالي هو 5 زجاجات من 'الفودكا' و3 علب مهدئة ذات المفعول المتوسط، صديقي صاحب البار الذي يبيعني 'الفودكا' بأسعار جيدة، أطفأ كل

المصابيح الخارجية التي زينت عالمنا القبيح بعد أن حدثته عن ذاكرتي الـ5 ثوان والتي ستنتهى قريباً للأبد، قال لي: لن نحتفل هذا العام في ليلة رأس السنة، هذا العالم يقتل كل شيء جميل أولاً بأول، ما الحاجة إلى الاحتفالات في الساعات الأخيرة التي يستسلم فيها العالم كلّه إلى يوم القيامة القريب؟! ثم أن الأمر محسوم، الفوضى في كل مكان، أما صديقي 'كاردل' يعود إلى حبسه الآمن دون الحاجة أن يلتقيني كما في كل مرة، والله ينظر إلينا من بعيد وينفذ وعده القديم، إنه الآن شديد العقاب لأكثر من اللازم. 'إنها القيامة'.

صديقة أخرى، اتفقنا أن نلتقى عندما كان العالم جميلاً وهادئاً، قلت لها إن التأجيل هو الوباء الذي اجتاح البشرية من دون رحمة، قالت لي: نحن نعيش دون أن نحيا، أريد أن أطير عالياً عالياً قبل بدء القيامة لكن هذا البائس جسدي يمنعني، ثم أضافت: أقسم بالله أنك عاجزٌ تماماً، هذا ما تقوله لله عندما تبكي، أريد أن أبكي، أنا ايضاً عاجزةٌ تماماً، وهذا ما سأحاول أن أقوله لله عند القيامة، صديقتي تموت الآن، لكنها كانت عاجزة دون أن تبكي، قلبي يقع مرةً أخرى من الطابق الأرضي، الشرطة التي كانت تحمينا من 'الواقع السيئ' سرقت كل ما تبقى لي من أحلام وذكريات، العالم في ورطة حقيقية، وأنا المسؤول عن حدوث كل هذه الكوارث الربانية لأنني الشاهد الأول عن يوم القيامة القريب، أنا الشخص الوحيد في هذا

العالم الذي يحتفظ بذاكرة 'الخمس ثوان' في كل مرة، أنا في ورطة أبدية.

وجوه سكان هذه المدينة أصبح بائساً للأبد، كنت أبحث من بين أشكال الضحايا الهاربة من الموت إلى الموت على وجه جميل واحد، لا جمال يُنقذ هذا العالم، أنقل حرفياً لكم هذه الملحمة قبل موعد القيامة الأخير، حتى 'الفودكا' لن تنقلني إلى واقع أفضل، كلّ شيء يتحول من جميل إلى قبيح، قال لي صديقي المقرب جداً: أنا لا أخشى الواقع مهما كان سيئاً لكنني أخاف كثيراً من الأحلام التي لن تتحقق بالمرة، صديقي الآن يرتعب من الواقع، يريد أن يعود كما كان في نطفة البدايات، وأنا أيضاً، لا أريد أن أرى أمي في القيامة وأهرب، لا أريد أن أكون معها أنانيّاً إلى هذا الحد.

الصور التي تزينت فيها المدينة على أبواب العام الجديد سقطت من شدة صوت الحروب، هناك فوضى لا أمان فيها، عدت إلى منزلي قبل القيامة لأرتب أشيائي، في الواقع أنا أخاف على أشيائي العادية قبل التورط مع الموت، أين ستذهب نصوصي المعلقة بالمنزل؟ البطاريات الفارغة؟ فناجين الشاي؟ الأشياء المرتبة عشوائياً على طاولتي العجوز؟ قال لي الله سراً سأحتفظ به إلى الأبد 'إنني أضع اللمسات الآخيرة على عالمكم الجميل هذا، القيامة قريبة جداً ولن أستثنى أحداً، أستمتع في السيِّئ فالقادم يمكن له أن يكون أسوأ'.

عن الضحك الذي كاد أن يقتلنا

كنّا نضحك سوياً على رائحة الموت الموجودة على مقربة منا، نتذكر أننا سنموت قريباً، نضحك أكثر، لكن الصياد السافل الموجود في عرض البحر، كان يصطاد ضحكاتنا خلسة من تحت شباكه الفاضحة، كلّما نسينا الموت، يلتقط لنا الصور من بعيد، لا أذكر كم كانت ملامحه سيئة لكنني أذكر جيداً أنه كان يريد أن يثبت للعالم أجمع أننا مُتنا من شدة الضحك، وأن سمك القرش الذي في الأسفل، يفضّل قتلنا ونحن بهذا المشهد، يقول الصياد الذي في عرض البحر: إن الوجبة المفضلة لسمك القرش الموجود على هذه الجزيرة هي الأجساد التي تضحك عالياً من شدة الخوف.

واصلنا الضحك من دون أن نتوقف عن الخوف، كنت أود أن أقول للموت: عليك أن تبحث عن أشخاص آخرين، عن أشخاص تعيسين لأكثر من اللازم، ينتظرون الموت الذي سينجيهم من شدة الكآبة، لكن الموت أكد لي في لحظاتي الأخيرة، أن الضحك لوحده هو سبب مقنع لنتوقف عن الحياة للأبد، وأن موت الشغف يعني أن تواصل الحياة بدون ضحك،

وأضاف، إننا كأسماك القرش على هذه الجزيرة نفضل الأرواح التي تضحك من شدة الخوف، ونبقي الأجساد وجبةً مفضلة لأبناء هذه الجزيرة 'أسماك القرش'.

يلتقط الصياد صوراً تذكاريةً إضافية للموت، تغيب صورة 'كاردل' تماماً عن الذاكرة، الصور مخيفة جداً، كاميرا الصياد تحترف صوراً مرعبةً للموت، رغم أنني أعاني من 'فوبيا' الوقوف في عرض البحر، لكن الضحك اشتد شيئاً فشيئاً، الموت يقترب، سمك 'القرش' يقوم بتجهيزنا للموت، الصياد لا يبتسم إنه يخشى سماك 'القرش'، أنا أبتسم لكاميرا الصياد دون أن أعرف أنني في موعد قريب مع الموت، صديقتي التي تحمل الاسم الثاني 'للإدمان' لا تحب الضحك بالمرة، لكنها كانت تضحك عالياً، هستيريا الضحك بسبب وبدون سبب، علِمت مؤخراً أنها ستموت قريباً لكنها أنانية، تواصل الضحك لأضحك معها أكثر، تريد لأبناء الجزيرة أن يطحنوا عظامنا جيداً، سوياً وأنا معها، هذا ما أقصده بالضبط، وهذا ما تريده بالتحديد.

سأنهى ذاكرة الـ5 ثواني، قُتلت الرغبة الآن، لم تطحن الأسماك عظامي، لكن الرغبة انعدمت تماماً عن الحياة، قلبي يتوقف عن

الضحك للأبد، أنا الآن حزين لأكثر من اللازم، والصياد يجدّف بعيداً عنا، معه الموت، وكلبه الأسود الذي رأيته مؤخراً، توقفنا عن الضحك أنا وصديقتي في عرض البحر، وتوقفنا أيضاً فوق قارب مهترئ جداً، التحمنا ببعضنا، قتلنا الهدوء الموجود في الساعة المتأخرة من الليل، كُلّما خفنا أكثر، التحمنا أكثر، وحده الخوف من ينجينا من الموت الذي يبتعد أكثر، توقف موج البحر، توقف الضحك، توقف الصياد عن تصويرنا، وتوقفت الأسماك عن طهينا، وبقينا هكذا للأبد، نحكي لبعضنا: عن الضحك الذي كاد أن يقتلنا.

ثمة سلام داخلي،
أحارب من أجله نفسي

نص الاتفاق بيني وبين الله

أنا المخلوق من 'نطفة الملل'، بالضبط في الأسبوع الأول من الانتفاضة الأولى، جئت ضمن علاقة شرعية ولا أعلم صراحةً ما إذا كان مجيئي هذا متفقاً عليه، كانت الحرب في أوجها، منع تجوال، اعتقالات وحجارة وشعب غاضب على الاحتلال الإسرائيلي، كان علينا نحن الفلسطينيّين يا الله أن نتكاثر كمفعول قنبلة عنقودية سقطت في مخيم مزدحم جداً.

الأن وبعد أن أصبحت بالغاً وعندي جزء متبقٍ من قواي العقلية، سأضع شروطي كاملةً لا نقصان فيها، أريد سعادة حتى إشعار آخر، هذا الشرط ثابت بالنسبة لي، كالأوامر العسكرية في ذروة الحرب، تماماً.

الشرط الثاني: أريد أن أقاتل من أجل فرحٍ أبدي، أغنيات لوحدي أنا، موسيقى خاصة تشبه مزاجي النرجسي أنا، ونصوص أدبية وعبقرية غير مستهلكة بالمرة، جملة الشروط هذه، تأتيني على شكل رزمة واحدة غير قابلة للتجزئة أو التقسيط.

الشرط الثالث: أريد أن أستمر في الكتابة للأبد، هذه المتعة تتسبب لي بالنشوة، فيها أصل إلى ذروة الأشياء، هذا الشرط كالثوابت الوطنية، غير قابل للمفاوضات ولا حتى للنقاش.

الشرط الرابع: أريد حرية على شكل صبية سمراء، وصديقة أبدية بعلاقة معقدة جداً، علاقة تشبه 'فشل عملية تبادل للأسرى بين بلدين حليفين ومتجاورين'.

الشرط الخامس: أعلم جيداً أن الحياة ليست مثالية إلى هذا الحدّ، لكنني أفضل الخلود فيها على فكرة الذهاب إلى الجنة.

أخيراً: أريد وطناً أسجل فيه مكان الميلاد، وإلا أريد أن أعود كما كنت إلى نطفة البدايات.

'كاردل' الذي لن يعود بالمرة

إننا نريد الله وندعوه أن يكون منتقماً، وقاهراً، لم نتذكر يوماً أنه الودود الرحيم والتواب، إننا نكفر في كل عبادة يا 'كاردل'.

- تكفرون وأنتم تتعبدون؟!

الكثير من البشر يا صديقي حينما يمارس العبادة والتقرب لله، يبتعد عنه في كل مرة، إننا متناقضون جداً، ولا نجرؤ على الاعتراف بذلك، نعترض على حكم الله حينما لا يستجيب لدعواتنا، بل أحياناً نلومه على أشياء كثيرة تحدث معنا رغم توضيحه في كتابه 'وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم'.

- هل تقصد كتابه للمسلمين، إنكم هدف ثابت بالنسبة لنا، هل لك أن تحدثني عنكم أكثر؟

ما زلنا يا 'كاردل' نفكر في كلمة 'الله' المنقوشة على حبة البطاطا، إن آخر أحاديثنا 'هل علينا أن ندخل الحمام بالساق اليمين أم اليسار' وما زلنا نبحث عن حكم الحذاء المقلوب على ظهره، نعتقد بذلك أننا نوجه إهانةً إلى الله، هل تريد أن تعرف عنا أكثر؟!

نعم، أريد أن أتعرف على أولئك الذين يحبون الله حباً خالصاً، حتى لو أحرقت الجنة وأطفأت النار*؟

'إلا من رحم ربي'، والباقي في الحاجة، في الخوف والمرض، ومع تقدم السنّ، إننا يا صديقي أنانيون جداً، في الصلاة ندعو الله أن يصيب أعداءَنا بالشرّ، ولحلقة ضيقة جداً بالخير.

- وهل يستجيب لذلك؟!

إنَّ الحروب التي في العالم يا 'كاردل'، لم تكن صدفة، ولا يمكن لها أن تكون من رب السلام، إنها 'القدر' المرسوم بدعوات البشر، رسول الإسلام قال يوماً: في كل دعاء لغيرك ترد الملائكة: ولك مثله.

- إذاً، حاولوا في صيام رمضان أن تنقذوا هذا العالم منا، ومن دعوات البشر؟

هههههه، 'كاردل'عزيزي، أنت تدفعني للضحك، لا تخرب هذا النص أرجوك، ألم أقل لك أننا نبتعد عن الله في كل عبادة، رمضان بالنسبة لنا، المزيد من الطعام والكثير من السهر، وعلى الفطور نشبع حتى الفجع، نشبع لدرجة أننا نفقد كل شعور بالآخرين، وتوزع الطرود الغذائية فقط تحت وطأة الكاميرات والصور المنافقة.

---

* من كتاب (قواعد العشق الأربعون).

- أنت سافل وأناني، لماذا ترجوني في كل مرة أن أراك لآخر مرة؟! أنا أخاف البشر، أنا بلا وظيفة في عالمكم الحقير!!

لن أرجوك هذه المره على البقاء، إن رحلت خسرت المتعة، وإن بقيت، ستتعرف على شياطين مثلك تماماً وأكثر، ولكن على هيئة بشر.

أمتلك كل هذه السعادة

أنا سعيد جداً لأنني ما زلت على قيد الحياة

سعيد جداً لأنني لم أنتهِ بعد من قراءة كل الروايات التي في العالم.

سعيد جداً لأنني أحب الحياة، وأن الموت بالنسبة لي هو أن أصعد عالياً عالياً دون الحاجة إلى ملامسة الأرض في كل مرة.

سعيد جداً بوجود شجرة كبيرة مزدحمة بالعصافير أمام منزلي الصغير،

سعيد لأنني لا أملك من الخيارات سوى أن أبقى على أمل.

سعيد بفكرة القهوة في بدايات الصباح، والأرجيلة في المساء.

سعيد بوجود الكثير من المقاهي في بلدي الصغير.

جملة السعادة هذه تمنحها الحياة لي دون شرط أو قيد، كما أن الحياة تمنحها لكل من ما زال على ذمتها دون معارك أو بطولات.

أمتلك من الحزن ما يكفي لأبقى سعيداً، ولهذا السبب ما زلت على قيد الحياة.

لأول مرة أشعر أن الله ممتنٌ لي

حدث في هذا الفجر، أني كنت أريد أن أخاطب الله للضرورة القصوى، كان عليَّ أن أحسم الكثير من الأمور العاجلة، وهذه المرة سأكون أنانياً، هناك جملة من المطالب التي لا يمكن تأجيلها أو التنازل عنها، ويقال أن بيوت الله كثيرة، ولا تحتاج إلى عقد إيجار أو موعد مسبق لدخولها.

وهذا ما حدث بالفعل، قررت أن أزور بيته فجراً، ذهبت إلى المسجد القريب جداً من منزلي، ورأيت زواراً من قبلي، لم يحن بعد الموعد مع الله، كانوا يعدون اللقاء، عجوز يقرأ من كتاب الله أحرفاً بنظارتين كبيرتين، وآخر يتحدث مع الله متمتماً بصوت منخفض وكأنه يحكي أسراراً، وأخرون اختاروا أماكنهم بعناية فائقة، جلست تحت شباك كبير، وفكرت، هل تحتاج العبادة إلى كل هذه الطقوس، ولماذا ينادي المسيحيون الله بأجراس الكنائس، بينما المسلمون ينادونه عبر مكبرات الصوت؟! إلى من يستمع الله بشكل أفضل، وماذا عن الصلوات التلمودية في المعبد اليهودي، هل هي الطريقة الصحيحة التي جعلت الله يستجيب للإسرائيليين، ومن أين أتت فكرة 'شعب الله المختار' وهل ما أفكر فيه الآن في هذه الساعة المبكرة عبادة، أم أنَّ كل هذا يفسد الوضوء ويبطل العبادة؟!

قررت أن أنسحب إلى الخارج، منزلي أيضاً يشاركني فيه اللهّ، فهو موجود في كلّ مكان، بل هو أساسي في كل بيت، مثل الأشياء الثابتة، لا تكتمل المنازل إلا بوجود أصحابها الأصليّين، الله.

ما أن نهضت منسحباً إلى بوابة الخروج الكبيرة، حتى ناداني أحد الزوار الذين كانوا يتأكون على راحاتهم منذ أن دخلت المسجد، وقال بصوت سمعه الكثيرون: أقم الصلاة لو سمحت، نظرت إلى من حولي، وقلت بنفسي: لماذا أنا؟! ومن هذا الشخص الذي لم يفعل شيئاً سوى أنه أكمل نعاسه في المسجد، وهل فعلاً ما زلت متذكر ترتيب كلمات قيام الصلاة؟! اتجهت لا إرادياً إلى 'مايك المنادي'، وشعرت أنني سأعلن القيامة، نظرت حولي مرةً أخرى، الكل ينتظر أن أنادي الله، ثم ناديت: الله أكبر الله أكبر إلى أن وصلت إلى لا إله إلا الله، كان صوتي يصدح عالياً عالياً، شعرت أن السماء تعانقني، وأن القرار لي لوحدي، وأنَّ هذا المسجد ملكي لوحدي، شعرت أني ولدت الآن، وأنا الآن بلا خطيئة، وأن الله نفسه ممتنٌ لي بعد هذا النداء.

هناك "آلهة" للجمال: اسمها أمي،
أمي التي تعيدني طفلاً في كل مرة

الأشياء التي تجعلني أصل
إلى ذروة الحب والسعادة

أمي وهي 'متجلية' لأكثر من اللازم،

حديث بريء وطويل مع صديق قديم،

رسالة عن طريق الخطأ من حبيبة قديمة،

مكالمة من شخص أحبه كثيراً وأعرفه جيداً رغم ذلك أسأله 'مين معي' لينطق باسمه بكل عفوية،

تفاؤل مبالغ فيه وأمل على غفلة،

رائحة الأشياء القديمة فجأة،

كلمة 'مرحباً' من شخص مرح جداً،

هدية من شخص مجهول ولا أريد أن أعرفه حتى،

أصوات الصحون والأواني في صيام رمضان،

طفل ينظر إليّ ويضحك عالياً من دون سبب،

الموافقة على الإجازة وأنا ما زلت على سريري في الصباح الباكر،

كتاب أنهيت قراءته الآن ونص أنتهيت من كتابته الآن،
وأن أفكر في هذه الأشياء عندما أكون تعيساً، كما الآن.

اللواتي

أجمل النساء تلك اللواتي لا يعرفن كيف يوضع المكياج، وكيف تؤكل البيتزا، ولا يعرفن الفرق بين 'الكحل' و'الألينر'، أجملهن من تضع 'المسكارا' بعشوائية حدّ التشوه.

أجمل النساء تلك اللواتي لا يملكن الثياب الكثيرة، تراها مرة بثياب عادية وتارة أخرى بنفس الثياب العادية معها أحاديثها الجديدة وضحكتها التي تحرر أسرى وتحمس ثواراً، تلك السمراء المعتقة، تملك كل شيء إلى حدّ الإدمان.

أجمل النساء تلك التي لا تكرر نفسها بالمره، تشعر أنها مختلفة في كلّ مرة، تحادث الملائكة في منامها، ولا تعرف كيف يُلتقط 'السيلفي'، وكيف تشعل السيجارة، وكيف تمارس التصنع، أجملهن من هي عشوائية حدّ التعب.

أجمل النساء من يعشقن موسيقى الرحباني، ويتوشحن بالموشحات الأندلسية، تلك التي تواصل الاستماع إلى 'أيُّها الساقيْ إليكَ المُشتكى' دون يأس أو ملل، يرقصن على أنغام فيروز في كل صباح، ولا يطربن إلا على 'مارسيل خليفة'، ويبكين على الشهداء حدّ المنام.

أجمل الأمهات التي انتظرت ابنها...

أجمل الأمهات التي انتظرتهُ،

وعادْ...

عادَ مستشهداً.

فبكتْ دمعتين ووردة

ولم تنزوِ في ثياب الحداد

(محمود درويش)، أجملهن من تواصل الفرح على أنغام الوتر الحزين، وتواصل الطهي على شمعة الظلام، من تلعنك جهراً وتحبك خفاءً، تلك التي تشبه أمي وأمك والأم التي أنجبت صبية سمراء، تشبهها وتشبه حبيبتي أكثر.

شكراً لله الذي لم يستقلْ حتى اللحظة

شكراً لأنك لم تأخذنا على محمل الجد، ولم تؤاخذنا بما فعل الأغبياء منا

شكراً لله الذي لم يلد ولم يولد، ولم يورث لنا إلهاً جديداً، شكراً لأنك تتحمل كل هذه الوحدة لأجلنا

شكراً لله الذي يعطينا الفرص لنستعد للقائه أكثر، شكراً لك على نفسك الطويل جداً يا الله

شكراً لك على فكرة التوبة، وتقرير المصير، والموت، والموسيقى، والأولاد، وفكرة الميلاد

شكرًا لك لوجود فيروز، والقهوة بكل أشكالها، والروايات وشكل الفتيات البريء، كل هذا يروقني يا الله.

شكراً لأنك ستعاقب الأشرار، وتكافئ الشهداء.

شكراً لأنك تسيطر على كل الأمور، وتسجل كل الأحداث، وتتدخل في الوقت المناسب.

شكراً لك رغم تكاثر عبادك المنافقين والسيئين، لم تستقلْ حتى اللحظة.

يا إله الأمنيات

إلهي، جلَّ جلالك، من وحي ليلة البارحة، أكتشفت أنك لا تتدخل إلا في حالات الطوارئ القصوى، وغير ذلك يأتي في سياق القضاء والقدر الذي كتبته لنا أجمعين، البارحة فقط، تدخلت الملائكة ووشوشتني قائلةً: قُم للصلاة قبل الفرح، ولا تتذكر ملامح سمرائك البريئة إذا رأيتها، فحبها ليس عبادة، وحديثها فتنة يفسد الوضوء ويبطل العبادة، قلت لها: حدثيني عنها أكثر، فأصبحت الملائكة أجمل.

إلهي، لي سمراء أحبها جداً، لها ابتسامة توقظ الشمس من غروبها، مضيت في عمرها 36 شهراً قمرياً، لكنها تخون وأنا أخون أكثر، أرجوك قبل ذكرى ميلادي القريب إذا رأيتني عاجزاً أمام أحلامها تمنَّ ليَ الموت، فهو رجائي الوحيد، وأعدني كما كنت في نطفة البدايات، لم أعد أحب الحياة بعد هذا المماة، وبعد خسارة الذكريات.

إلهي، لي عائلةٌ جميلةٌ وعريقة، وأمٌ من فصيلة الملائكة، كلما أحسست بالخطيئة، دعوت باسمها وعمرها، فتحضرني المعجزة وتُمحى الخطيئة وكأنها لم تكن، احفظها لي فأنا بلا ميلاد من دونها، ولا اسم لي ولا وطن لي ولا حرب لي من بعدها.

إلهي، وعلى صعيد آخر، لي شعب تعب الموت منه وتعب من الموت هو، سأعترف بالنيابة عنه بالهزيمة، علَّ الهزيمة توقف نزيف الخسائر المتتالية، علَّها توقف الكثير من الموت المفاجئ والموت مع وقف التنفيذ، يا إلهي إن عبادك الساكنين في فلسطين يريدون سماع الموسيقى الآن، فالموسيقى لا تؤذي أحداً.

إلهي، يبيع عبادك المنافقون الخمر المغشوش في وضح النهار، ويضحكون على ليل السكارى الطويل، يشربون ليعيدوا للموسيقى لحنها وعزفها، إلهي لا تجعلهم يصنعون الكحول مرةً اخرى، لم أعد قادراً على ارتكاب المزيد من المحرمات والحماقات، بالمناسبة سأقول لك شيئاً غريباً: عبادك السُكارى لا ينسون شيئاً حينما يشربون، إلهي، لِم يشربون؟!

إلهي، يبيع رجال الدين فينا تذاكر لمشاهدة الأنبياء والحوريات، مشايخ الإسلام يبعيون الفتاوى ويسمحون لنا بالصلاة من دون وضوء، وأبونا في المسيح يبيع صكوك الغفران، أما حاخامات اليهود يبيعون كتاباتك السماوية المزورة، إلهي أحرقهم وأحرق تذاكرهم معهم، لم نعد إخوة في هذا العالم الحقير بعد مجيئهم إلينا، إننا نكره بعضنا بعضاً، يتسابقون على تجارة الدين فينا، أحرقهم يا إلهي قبل أن يكفر عبادك المحبون الباقون منهم والمؤمنون.

إلهي، وعلى صعيد شخصي، أنا أكره الشتاء، وأحب الحياة ما استطعت إليها سبيلا، تُخيفني أصوات الأمطار الغزيرة، وتوترني غيمةٌ غطت شمس الشتاء، وتقتلني المزاجية بسماع شاعرنا درويش في عتمة الليل، إلهي ألم تخلق عباداً يعيشون في منازلهم وحيدين؟ أنا واحد منهم، فلا تتركني وحيداً مهما رأيتني قوياً، إلهي دعني أقول لك سراً: أنت بالنسبة لي، الأمان في فوضى هذه الأرض، فلا تنسَني وحيداً مهما ضبطت الأرض إيقاعها، وغطت الشمس سماءها، فأنا المؤمن بك والكافر بمن كفر بك، أنا الشاهد أن لا إله إلا أنت.*

---

* جزء من إيحاءات هذا النص مستوحى من الشاعر التونسي الراحل *الصغير أولاد أحمد*.

لو كنت أعرف أني سأموت غداً
لاعترفت لأصدقائي السيئين كم أنا ممتنٌ لهم،
وللجيدين كم أحبهم.
من المهم أن نعرف، أن الموت مثل الحب تماماً،
أناني وفجائي

لأول مرة.. 'كاردل' يلتقى بحبيبتي

تقول الأسطورة: إن إبليس قام بحبسي قبل آلاف السنين، لأنني كنت أظهر أمام الناس على العلن، كما لا أؤمن بالوسوسة أبداً، رغم ذلك، خالفت كل معتقداتي وكنت أوسوس لحبيبك الكثير، لكنني لم أنجح لمرة واحدة في قتلك.

- (وهي تضع المسكارا) لماذا تريد قتلي؟

أنا شيطان يائس ووحيد، أريد أن أرى النور كي أواصل حياتي بكل شجاعة وحزن.

- (وهى تضع الحومرا)، حسناً، سأعود إليه لأجلك أولاً، ولأجل الله ثانياً.

أرجوكِ لا، لم أقصد ذلك، يجب أن تتوقفي عن منحه المزيد من الإيحاءات، ليتوقف عن الكتابة عنك، وأن أرى النور في كتابه للأبد، أو أن أقوم بقتلك الآن حتى تتوقف هذه المهزلة.

- (وجه بريء أكثر من اللازم) النور موجود في روحك فقط، صلِّ في قلبك من دون قبلة محددة، وتحدث مع الله قبل أن تنام، توقف يا 'كاردل' عن ممارسة الوسوسة.

أرجوكِ، جربي هذا لمرة واحد فقط،

- (وجه شيطاني لأكثر من اللازم) هههههـه، التجربة بالنسبة لي مثل الفرصة الأخيرة، جرب أنت مع صديقك.

حبيبك؟ نرجسي لا يحبّ إلا نفسه،

- (وهى تربط شريط حذائها) بالعادة، لا يحب رجل نفسه إلا عندما تحبه امرأة، أحببته كثيراً.

وهل اعترفتِ له بذلك؟

- أعترف؟! وهـــل هى خـطيئة حتى أعـترف؟ منـذ متى أصبحت المحبة رذيلة؟!

أنا شيطان من عالم آخر، لا أميز في علاقتكما بين الخطيئة والفضيلة.

- الفضيلة أن تذهب الآن لقتله، حينها فقط سترى النور للأبد، أما الخطيئة أن تكتفى بكونك مجرد 'شيطان' عليك أن تصغي أحيانًا لملاكك الأيسر، نفذ ما قلته لك.

الملاك الذي على يسار كتفي اسمه أنت، كلما أخطأت يذكرني بك، ولهذا السبب كل ما أفعله في حياتي هو ممارسة الخطيئة.

- إذاً، مارس الخطيئة لمرة واحدة فقط، أقتله، ثم مارس الفضيلة، سينجيك الله.

ومتى سأرى النور؟!

- أنا أقرر متى وكيف، أرحل الآن.

'كاردل' يعود مرةً أخرى ويقول لي بالحرف الواحد:

هي ألطف 'شيطان' ألتقيه في حياتي، وأجمل 'إبليس' مخلوق من ضلع الملائكة، مثل 'فرعون' في ذروة إيمانه المطلق، إنها شيطان لدرجة أنها تستطيع أن تكون ملاكاً في أي وقت، هي 'حواء' التي لا تشتهي تفاحاً في الجنة، أما أنت...

- أما أنا؟!

أنت هو الشخص الوحيد الذي يحاول التخلص منك

- هل تريد قتلي بدلاً عنها؟! ما الذي حصل في لقائكما؟!

تذكر أنا صديق جيد لكنني أيضاً عدو سيئ، ولا أريد أن تكون العدو المفضل لي، هل تغار عليها مني؟!

- لا أتمنى لها أن تكون حورية في الجنة ولا أن يصطفيها الله بحبه عن الأجمعين، إني أخاف عليها من مغريات الجنة وأغار عليها من غرائز المؤمنين، فما بالك بشيطان مثلك؟!

لكنك كنت تبالغ كثيراً في تجاهلها!

- المبالغة في إظهار التجاهل هو أقصى درجات الإهتمام.

أريد أن أقتلك، أو أن أعود إلى حبسي للأبد، قرر الآن.

نصوص يتيمة للأبد

عليك أولاً،

أن تحب مظهرك العشوائي

الجارة العجوز المزعجة في الطابق الخامس

أيام الجمعة المملة والطويلة جداً

هاتفك المكسور أثناء انقطاع الإنترنت

شارع الحي في أعمال الصيانة

علبة الشامبو في رمقها الأخير

فرشاة الأسنان المهترئة

قسم جراحة العظام والأعصاب في المستشفيات الحكومية

الأخبار التافهة في الإذاعات المحلية

أسماء الوفيات في الصحف القديمة

وتلك الأشياء التي لا تستخدمها بالمرة

حينها فقط، تستطيع الوصول إلى ذروة الحب.

أنت مجرد رقم زائد واحد،

عدد غير محسوب في ذيل الأرقام الضخمة،

حديث عابر وغير مهم لأحدهم،

متصفح من شدة الملل،

وشخص عادي جداً يقف على الإشارة الضوئية في ذروة الازدحام.

أنت مجرد جثة ميتة قاربت على الانتهاء،

تنام بعد قليل من شدة التعب،

ولا أحد يهتم بأمرك بالمرة،

بالمرة.

***

إلى 'حبيبتي' السيئة أكثر من اللازم

منذ افترقنا، وأنا أُصلي وأتعبد، للتقرب لله أولاً، ومن ثم إقناعه بتعجيل أجلك ثانياً،

لا أتمنى لكِ حياة سعيدة بالمرة.

***

الحب يعمينا ثم يحرفنا ثم يقتلنا للأبد،

كل أولئك الذين لم يمارسوا الحبّ عاشوا حياةً طبيعيةً وسعيدة.

***

الحياة تعجز مع المجانين، تحب الأغبياء، لا تتنازل للواقعيّين، تستسلم للأقوياء، تهادن البسيطين، تقتل الطيبين كثيراً، تتفاوض أحياناً مع الطموحين، لكنها لا تنصف العشاق بالمرة.

المجد للمجانين وحدهم.

***

قلبي ينبض لكنه لا يعمل، قلبي موجود لكنه مستقيل، قلبي لا يأخذ قرارات بالمرة لكنه دائماً يصيح عالياً: يسقط يسقط حكم المنطق.

***

هذا الصباح دعتني الملائكة إلى تقديس الحياة، وأضافت 'إن فكرة الموت مؤلمة ومبهمة ومرعبة لدرجة تجعل تقديس الحياة، عبادة، شأنها شأن الحب'!

قلت لها خائفاً: هل تخافين الله؟ إذاً عليكِ أن تضحكي الآن، وتعلني أنَّ الحب هو العبادة، وأن الحب أقصر الطرق إلى الله.

***

أنا المريض بالأمل، المدمن بالحياة، الخائف من الموت، والموجوع من الحب، المجنون مع السمراء، المضطرب بالسهر، المخدر في الوطن، المتوحد مع السعادة، أعاني الزهايمر من الماضي بكل تفاصيله، وأصاب بالهذيان في حضرة المشروب، كما أنني المكتئب بالشتاء، وأتنفس فقط في ليالي الصيف الحارة.

ولا أبحث عن شفاء ولا عن دواء.

***

تخيلي أن الجميع يكتب للوطن ويحكي عن الشهداء، إلا أنا كالطابور الخامس أكتب في ذروة الحرب عنكِ فقط، وكله بسبب أنك حبيبتي.

حتى في ساعات رفع 'حظر التجوال' ركض الجميع يبحث عن شكل الضحايا قبل انتهاء الهدنة القصيرة، إلا أنا كالطابور الخامس، كنت أبحث عن 'إيفا' التي لن تأتي أبداً، وفي وسط الأشلاء أبحث عن الذكريات والقبل المؤجلة وملامح وجهك البريء، وكله بسبب أنني أحببتكِ.

***

أنا أخجل من نفسي كثيراً في اليوم الذي أكون فيه تعيساً، على أية حال، في اليوم التالي سأحب الحياة أكثر، وأرسل المزيد من رسائل الحب لله.

***

لا أؤمن بالحب بدون اجتياحات، بدون انتهاكات، بدون ضحايا، وجواسيس ينشرون الفوضى في حواسك ويبثون روح الهزيمة في ذكرياتك، وجنود يعتقلون كل من يحاول الاستقلال عني ويقمعون حرية أن تتركيني وحيداً.

أنا النسخة المعدلة من الاحتلال.

***

عندما تجتاحك الأوجاع وتداهمك لحظات الضعف وتصبح الأشياء من حولك صعبة ومملة ومعقدة، حاول أن تكون لوحدك،

وإن كنت لا تزال تبحث عن ذلك الشخص الذي سيغير حياتك، فانظر إلى المرآة، وحاول أن تكون لوحدك.

***

دعينا نعود إلى الوراء كثيراً، بالضبط هنا، حيث لم نلتقِ بالمرة.

دعينا هنا إلى الأبد دون أن نلتقي من جديد، نستريح قليلاً وكأن شيئاً لم يكن.

***

نحن لا نحب الأشخاص صدفةً، ولا يمكن لنا أن نعشق أحداً من الوهلة الأولى، نحن نحب الأشخاص لذكرياتهم لتفاصيلهم القديمة ولبعض مواقفهم وأحاديثهم التي لا تشبه أحداً.

لذلك، لا نستطيع نحن الفاشلين في الحب أن نبدأ من جديد، علينا دائماً أن نطلب من الله ممارسة نعمة النسيان على قلوبنا، وأن نستفرغ كل مشاعرنا مرةً واحدة دون رحمة.

***

لا تودعوا عزوبيتكم إلا عندما تكتفوا من الحياة،

العمر لا يعود بالمرة.

***

إذا أردت أن ترى الأشياء كما يجب، جردها من الحب واستثنِها من المثالية، إما أن تزداد جمالاً أو أنها تكون مجرد وهم.

المجد للأشياء الجميلة التي لا تنطفئ بالمرة.

***

حتى على شاشة الفضائية حينما أقدم البرامج أمام الكثير من الناس لا أسرح شعري، ولا أهتم لشكل الإضاءة كثيراً، يزعجني صوت المخرج عن دقة التوقيت في البداية والنهاية، وشكل الضيف صاحب البدلة الإيطالية، أنا تقتلني التفاصيل الصغيرة، ولا تغريني الأشكال المرتبة بالمرة.

في الحقيقة، أنا سعيد لأنّي عشوائي وفوضوي ومبعثر، وأشعر أن ذلك أفضل، الأشياء المرتبة لها قوانينها، وأنا لا أحب الأشياء المقيدة بالمرة.

***

كيف نقنع الأطفال أنهم الأحياءُ الوحيدون على هذه الأرض؟! وأن إصرارهم على أنْ يكونوا كباراً هي الخطوة الأولى نحو الموت؟!

إن الله يحب الأطفال حباً خالصاً إلى أن يصيروا مثل الدموع تحت المطر، بالغين عاقلين يائسين.

***

كل حزن فيك يقنعني بالحياة أكثر،
أنا الآن أحبك أكثر.

***

أريد أن أنجب أطفالي عن حب،
أرجوكِ اختاري التوقيت المناسب، العالم مكرر، ساذج وممل.

***

أنا هنا في عمّان، قلبي كان معلقاً على 'باترينة' المنزل برام الله، حملته وأخذته معي، في طريقي اختبأ وراء مقعد سيارتي الخلفي، وجدته وأخذته معي.

كلما ابتعدت عن المدينة أصبحت دقاته خفيفة، وصلنا الحدود، كاد أن يتوقف، خفت أن أموت، أعدته مع مسافرٍ إلى أرض الوطن، في البداية رفض وقال: إنه لا يعمل، ونبضه بطيء جداً هل سيموت؟! أجبته: ضعه في أي مكان بالوطن سيحيا من جديد.

أنا هنا لوحدي في عمّان، وقلبي هناك ظلَّ في الوطن.

***

أنا شخص متناقض مثل جندي يشاهد 'رسوماً متحركة' في ذروة الحرب،

عبارة عن مجموعة من التناقضات المريحة جداً،

كما أنني بلا مبادِئ، فقط مجموعة من القناعات القابلة للتبديل والتغيير وفق الحاجة،

وأنا سعيد جداً بكوني على هذا النحو.

***

علينا أن نحب الأشياء لا أن نتعلق بها،

علينا أن نتقن فنَّ المسافات لا أن نلتصق بها،

فالحب يولد ملحداً.

***

مرحباً يا أمي، لم أعد قادراً على مواجهة هذه الحياة لوحدي بعد أن كبرت سريعاً،

أرجوكِ يا ماما تعالي وأعيديني صغيراً، ومارسي دور الأمومة من جديد وكأن عمراً لم يكن.

***

الفرق في التوقيت الجديد هو فرق الحب، ساعة صيف إضافية وحب أطول.

الآن أنا أحبك أكثر.

***

الشامة التي على وجهك صيد ثمين للعصافير، وخدك البريء طُعم جيد للحمام الزاجل صاحب الرسالات السماوية، ولون هذه البشرة الداكنة فخر الصناعة الإلهية، إن صوتك المبحوح يعيد للموسيقى لحنها وللكمنجة عزفها.

أنتِ النسخة المعدلة من الملائكة، والصيغة النهائية للأنثى.

***

أحتاج إلى أن أراكِ الآن ومن مسافة الصفر،

أريد أن أكون ملتحماً أكثر، قبلة واحدة، ثم أقتلك للأبد، هكذا وبدون أي سبب.

***

أمام وجهك البريء، يوشك ذلك الذي ينبض سريعاً في يسار صدري على الانتهاء.

أرجوكِ لا تكوني جميلة إلى هذا الحدّ!!

***

لا تردّ السلام على تجار السلاح، ولا تقل 'آمين' من وراء الأمنيات الحقيرة، لا تتزوج على مواجع الحب ولا تبني عشاً في وهم الضحايا، ولا تخن السمراء إلا مع سمراء، لا تحادث المتشائمين في ذروة الأشياء، لا تخض الحروب وأنت في تعداد الضحايا واعترف بهزيمتك أمام نزيف الخسائر، وإذا واجهتك بقوتها أمام ضعفك، لا تُحصِ الضحايا بالمرة، فالأقوياء وحدهم من لا يحصون الضحايا.

باختصار: (لا تصارع خنزيرًا في الوحل، فتتسخ أنت، ويستمتع هو)*.

***

* (مثل إنجليزي)

يجب أن تصاب بالحزن في كل مرة،

فهو علاج 'مؤقت' لكل مشكلات هذا العالم البائس.

***

عمليات 'الولادة' في هذا العالم البائس هي أول تجربة للموت وأبشع أشكال الإبادة الجماعية

توقفوا عن الإنجاب، العالم ساذج مكرر وممل.

***

منذ رأيتك في المرة الأولى،

وأنا أرتب 'حفل زفافي' بكل تفاصيله

شكل المعازيم، صوت الأطفال الممنوع اصطحابهم حتى نوع العشاء الموزع على الضيوف

في اللقاء القادم،

أعدكِ باختيار أسماء الأطفال الذين لم ننجبهم بعد.

***

الفهرس

- مقدمة نقدية..... 9
- الحوار الأخير مع 'كاردل'..... 15
- مرحباً حبيبتي..... 21
- أريد أن أكون..... 25
- هدايا 'حبيبتي' التي ماتت للأبد..... 27
- النص الأصلي والاتفاق المقدس لعقد الزواج. 29
- أنا تافه ساذج وممل..... 33
- أنا 'زومبي' حقيقي..... 37
- فقدت قلبي في حادث 'حب' مؤلم..... 39
- يا صغيرتي..... 41
- في مدينتي الآن..... 43
- خذني الآن..... 45
- أنا 'سكران' بكامل قواي العقلية..... 49
- لو كنت 'بابا نويل'..... 55

- هكذا 'سكرت حد الشمالة' دون أن يحاسبني الله.. 57
- أنا في ورطة..... 61
- أشياء يمكن لها أن تقتلني للأبد..... 63
- اضطراب حاد..... 65
- 'كاردل' مستمتع بدون سبب..... 67
- على حافة السرير..... 71
- أنا منشغل بالفراغات..... 73
- 'أنا' هو الشخص الوحيد الذي يريد التخلص مني..... 75
- عزيزي عزرائيل..... 77
- عزيزتي 'إيفا' التي لم تأتِ بعد..... 81
- رسالة جندي في ذروة الحرب..... 87
- أريد أن أستفرغ 'مشاعري' دفعة واحدة الاشمئزاز يدفعني للكتابة..... 89
- هذا النص 'خالي' من أي فكرة..... 93
- خذوني على محمل الجد لـ5 ثوانٍ فقط أنا مرتعب 97

- أريد أن أستفرغ 'مشاعري' الآن الاشمئزاز يدفعني للكتابة مرةً أخرى..... 101
- أنا الآن في غيبوبة..... 103
- من النصوص التي لا أريد نشرها بالمرة..... 105
- عن الضحك الذي كاد أن يقتلنا..... 109
- نص الاتفاق بيني وبين الله..... 115
- 'كاردل' الذي لن يعود بالمرة..... 117
- أمتلك كل هذه السعادة..... 121
- لأول مرة أشعر أن الله ممتنٌ لي..... 123
- الأشياء التي تجعلني أصل إلى ذروة الحب والسعادة. 127
- اللواتي..... 129
- شكراً لله الذي لم يستقلْ حتى اللحظة..... 131
- يا إله الأمنيات..... 133
- لأول مرة 'كاردل' يلتقى بحبيبتي..... 139
- نصوص يتيمة للأبد..... 143

M o h a m m d R a d w a n

-من أنا يا 'كاردل'؟!

- أنت هو الشخص الوحيد الذي يحاول التخلص منك.

هذا الكتاب لا يروج لعالم 'الشياطين' بالمرة، لكن قراءة نصوص الكتاب هو أفضل عمل 'شيطاني' يمكن أن تقوم به في حياتك.

تذكروا ذلك على الدوام.

المؤلف

محمد رضوان

بيلومانيا للنشر والتوزيع

فضاءات للنشر والتوزيع

فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة
عمان - الأردن - تلفاكس ٤٦٥٠٨٨٥ ٦ ٩٦٢+
Fadaat For Publishing & Distribution
Amman - Jordan . dar_fadaat@yahoo.com

9 789957 309756

Painting Cover By: Alvaro Sanchez